8030

الكاتب ٩٧

للثقافة الانسانية والتقدم

العدد
السابع والتسعون
ايار ١٩٨٨

- محطات ... محطات
- العام ١٩١٧ الدرع الحديدي الثورية
- الدمار المستمر لزراعة في الأرض المحتلة
- مناهج اللغة العربية هل تنمي مواهب التلاميذ الأدبية
- قصائد شعرية ... الحجر والنار ...
- الحركة المسرحية في الأرض الفلسطينية المحتلة

احياء التحالف الفلسطيني السوري خطوة حاسمة على طريق دعم الانتفاض

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

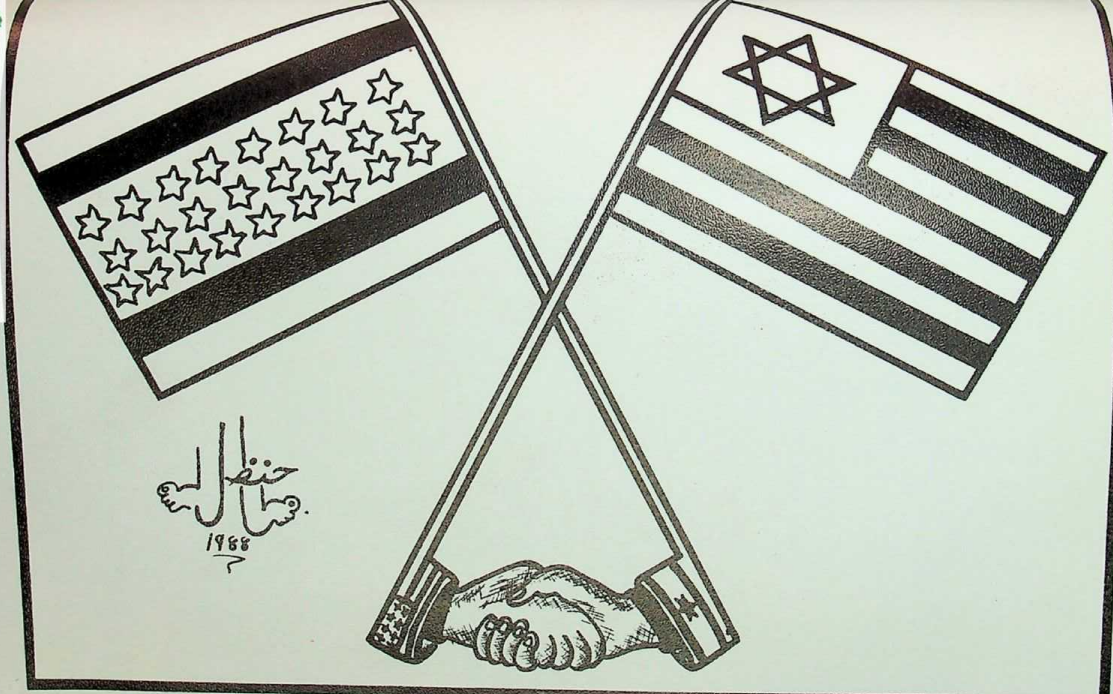

بمناسبة توقيع مذكرة التفاهم الاستراتيجي بين اسرائيل والولايات المتحدة هدية لاتباع واشنطن من الحكام العرب..!

جامعة بيرزيت
المكتبة
Library

97

المحرر المسؤول
رئيس التحرير
أسعد الاسعد

هاتف: ٢/٨٥٦٩٣١.
ص.ب ٢٠٤٨٩
القدس

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	اوروبا	بلدان أخرى
للافراد	٢٥	٤٠	٥٠
للمؤسسات	٥٠	١٠٠	١٥٠

NO. (97), MAY 1988 العدد (٩٧) ايار ١٩٨٨ - السنة التاسعة

Digitized by Birzeit University Library

كلمة العدد :

٤	- احياء التحالف الفلسطيني السوري خطوة حاسمة على طريق دعم الانتفاضة	الكاتب

سياسة :

٦	قائمة باسماء شهداء الشهر الخامس للانتفاضة	الكاتب
١٠	محطات * محطات * محطات	ابو وديدة

دارسات :

٢٦	العام ١٩١٧ ابداع الجماهير الثوري	فلاديمير بو
٤٣	التدمير المستمر للزراعة في الارض المحتلة واثر ذلك على التغيرات الهيكلية في بنية هذا القطاع	د. سمير د
٥٤	مناهج اللغة العربية هل تنمي مواهب التلاميذ الادبية ؟	محمد شرب

متفرقات :

٦٠	الاصل التاريخي للاول من ايار	جورج مان
٦٥	البيان المشترك الصادر عن اتحاد النقابات العالمي والاتحاد العام لنقابات العمال في الضفة الغربية	
٦٧	التراث الحضاري المنهوب لدول العالم الثالث	د. عبد الق حسين ياس

Digitized by Birzeit University Library

نقد ادبي :

٧٢ قصائد شعرية .. ام احاجي والغاز ؟؟!
انقطاع التواصل بين الشاعر والقارىء،
خسارة لهما وللادب — ابراهيم جوهر

٨١ حول المغزى السياسى لقصص
سادة العواصم .. السادات — وضاح السعد

مسرح :

٨٤ الحركة المسرحية في المناطق المحتلة
صنـــدوق العجـــب — عادل الترتير

قصة :

٨٩ الـــــورم — محمد ايوب

شعر :

٩١ الشهيـــــد — ربحي عبد القادر ابراهيم

٩٤ مختارات من الشعر المعاصر
فـــي الاورغـــواي — ثيري مائية خوان كنهة

٩٥ اصـــداء ثقافيـــة

Digitized by Birzeit University Library

كلمة العدد

احياء التحالف الفلسطيني السوري

خطـوة حاسمـة علـى طريـق دعـم الانتفاضـة

من المكاسب التي حققتها انتفاضة شعبنا الفلسطيني في المناطق المحتلة تلك المصالحة المباركة بين رفاق الخندق الواحد في القيادتين السورية والفلسطينية . ويتطلع شعب الانتفاضة الى ارتقاء هذه المصالحة الى تحالف صلد ليشكل نواة لجبهة عربية واسعة مناهضة للامبريالية والصهيونية .

فالانتفاضة قدمت البرهان الملموس على فعالية وحيوية الوحدة الوطنية الفلسطينية التي ارسيت دعائمها في دورة المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر في مثل هذا الوقت من العام الماضي . وقد برهنت الانتفاضة ان سلاح الوحدة الوطنية الكفاحية هو الاكثر مضاءا في النضال ضد الاحتلال ومن اجل تحقيق اماني الشعب الفلسطيني في الاستقلال الوطني وتقرير المصير واقامة الدولة المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

كما برهنت الانتفاضة ايضا على عدم امكانية قيام موقف عربي فاعل ومؤثر لدعم قضية الشعب الفلسطيني ، او اية قضية قومية اخرى ، وجبهة القوى العربية ، المناهضة للامبريالية والصهيونية ، مفككة . وبذا فان اعادة التحالف الكفاحي بين منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا يزيل اهم العقبات في طريق توحيد القوى العربية المناهضة للامبريالية والصهيونية ، ويفتح الطريق لاقامة جبهة عربية مكافحة ، قادرة على بلورة موقف عربي جدي ومؤثر لدعم الانتفاضة الفلسطينية ورفدها بمختلف اشكال الدعم والمساندة الضرورية لضمان انتصارها.

واذا كنا لا نعتقد ان غياب التحالف السوري الفلسطيني هو المسؤول عن تردي وعجز الموقف العربي في دعم الانتفاضة ، الا انه شكل غطاءا ملائما لهذا التردي وذاك العجز . بل انه شكل مناخا ملائما لتآمر بعض الانظمة العربية على الانتفاضة . ان المسؤول الاول عن تردي وعجز الموقف العربي

Digitized by Birzeit University Library

هو حالة التبعية المذلة للامبريالية التي ترزح تحتها معظم الانظمة العربية ، وتحول تلك الانظمة الى مؤسسات منعزلة عن شعوبها ومعادية لهذه الشعوب . ان معظم الانظمة العربية تحولت الى ادوات لتنفيذ سياسة الاستعمار الجديد ، ولحماية المصالح الامبريالية في المنطقة . وهذه الانظمة ، كما علمتنا التجربة ، لا تكف عن التآمر على القضايا القومية العربية ، وبضمنها قضية الشعب الفلسطيني العادلة ، الا اذا كانت جبهة القوى المعادية للامبريالية موحدة ومتراصة .

لهذا فان اعادة التحالف الفلسطيني السوري يشكل خطوة حاسمة على طريق تشكيل هذه الجبهة ، وخطوة حاسمة على طريق اعادة التوازن في الموقف العربي لصالح الكفاح العربي المعادي للامبريالية والصهيونية بوجه عام ، ولصالح الكفاح الفلسطيني وانتفاضته الحالية بوجه خاص .

ولكن ، وحتى يعطي احياء التحالف السوري الفسطيني ثماره على مختلف الاصعدة ، ينبغي ان يقوم على اسس واضحة ومتينة وراسخة ، ولا يترك مجالا لتصدع هذا التحالف عند ابسط المنعطفات .

وبخصوص دعم الانتفاضة ، فان ابرز ما يجب الاعتناء به من قبل القيادتين السورية والفلسطينية في هذه المرحلة تكريس الجهود لتقديم الدعم السياسي والمعنوي للانتفاضة والتأكيد على الشعارات التي استطاع الشعب الفلسطيني ، بواسطتها ، ايصال رسالته وايضاح قضية للراي العام العالمي ، ومكنته من الوصول الى عمق الضمير العالمي بما في ذلك الى داخل تلك الاوساط التي كانت حتى الامس القريب تدير ظهرها للمطالب والحقوق الفلسطينية .

ان شعارات الانتفاضة المطالبة بازالة الاحتلال الاسرائيلي وبحق تقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة وحق العودة هي عمليا تجسيد حي للثوابت الفلسطينية التي اكدتها دورة المجلس الوطني الثامنة عشرة في الجزائر في العام الماضي ، وهي في ذات الوقت تجسيد حي لقرارات قمة فاس التي تحظى باجماع عربي وتعاطف وقبول دوليين .

وادراكا منا بعدم وجود خلافات هامة في وجهات النظر حول هذه الشعارات بين القيادتين الفلسطينية والسورية ، وبالتالي عدم وجود عقبات جدية أمام تحقيق التحالف ، فان مواقف بعض الاطراف الفلسطينية التي ترفض العودة الى منظمة التحرير الفلسطينية على أساس تلك الشعارات ، انما تقف عمليا ضد رغبتها في دعم الانتفاضة ، وهي بذلك تضع عراقيل امام تحقيق التحالف السوري الفلسطيني،وتكدس العقبات امام فرصة ترميم الجبهة العربية المناهضة للامبريالية والصهيونية.

- الكاتب -

Digitized by Birzeit University Library

قائمة باسماء شهداء الشهر الخامس للانتفاضة

شهد شهر نيسان الماضي ارتفاعا ملحوظا في عدد الشهداء ، الذين سقطوا جراء اطلاق النار او بفعل قنابل الغاز التي تمطر بها قوات الاحتلال المتظاهرين . وقد بلغ عدد الشهداء حتى ٢٨ نيسان ١٩٨٨ (٥٩) شهيدا . هذا وقد سقط (١٥) منهم في يوم السبت ١٦ نيسان في مظاهرات الحزن والغضب التي عمت المناطق المحتلة اثر جريمة اغتيال المناضل خليل الوزير . وبهذا الرقم تكون قائمة شهداء الانتفاضة الابرار قد وصلت الى ٢٢٤ شهيد.

الجمعة ١/٤/١٩٨٨

- جمال خليل الطميزي (٢٠ عاما) قرية اذنا / الخليل.
- اسحق نمر سليمي (١٨ عاما) قرية اذنا / الخليل.

السبت ٢/٤/١٩٨٨

- جميل رشيد الكردي (٥٥ عاما) غزة.
- احمد خميس الكردي (٤٠ عاما) غزة.
- علاء احمد خميس الكردي (٢١ عاما) غزة.
- سليم خلف الشاعر (٢٣ عاما) بيت لحم . اصيب برصاصة في رأسه.
- جهاد مصطفى محمود عاصي (١٩ عاما) قرية بيت لقيا / رام الله.
- خميس محمود احمد (٤١ عاما) قرية دير السودان / رام الله.

الاحد ٣/٤/١٩٨٨

- علي دياب ابو علي (٤٥ عاما) يطا / الخليل. استشهد متأثرا بالجراح التي اصيب بها يوم الخميس ٣/٣١. وهو اب لثلاثة عشر ابنا.
- خليل جبر حمزاوي (١٨ عاما) مخيم عسكر القديم / نابلس. اجبره الجنود على تسلق عامود كهرباء (ضغط عالي) لانزال علم فلسطيني كان معلقا على اسلاك الكهرباء مما ادى الى استشهاده على الفور بصعقة كهربائية .
- مأمون عبد الرحيم جرادة (١٥ عاما) طولكرم . اصيب برصاص الجنود (في رأسه وصدره) خلال محاولته رفع علم فلسطيني على اسلاك الكهرباء.
- ناصر عبدالله كميل (٢٠ يوما) قباطية . استشهد متأثرا بالغاز الذي القى من طائرة عامودية على بيته في قباطية يوم الجمعة ١/٤.

الاثنين ٤/٤/١٩٨٨

- حامد عبد المهدي زبيدات (١٨ عاما) قرية بني نعيم / الخليل. اصيب برصاصة في صدره.

Digitized by Birzeit University Library

- الشيخ رجب احمد الصليبي (٧٥ عاما) مخيم الشاطيء / غزة. اصيب بالاختناق والتسمم جراء الغاز يوم الاحد ٤/٣.

- حمزة ابراهيم ابو شاب (٢٠ عاما) قرية بني سهيلة / غزة . اصيب برصاصة في بطنه يوم ٣/٣٠، وفارق الحياة متأثرا بجراحه.

الاربعاء ٦/٤/١٩٨٨

- حاتم فايز احمد الجبر (٢٢ عاما) قرية بيتا/ نابلس. استشهد برصاصة من المستوطن رومام الدوبي.

- موسى صالح ابو شمسة (٢٠ عاما) قرية بيتا / نابلس. استشهد برصاصة من المستوطن رومام الدوبي.

الخميس ٧/٤/١٩٨٨

- عصام عبد الحليم محمد بني شمسة (١٤ عاما) قرية بيتا. استشهد برصاصة من الجنود اثناء المطاردات في الجبال .

السبت ٩/٤/١٩٨٨

- الشيخ يوسف ربيع (٨٥ عاما) قرية دير ابو مشعل / رام الله. استشهد متأثرا بجراحه جراء رصاصة اصيب بها في مظاهرات يوم الارض وهو زوج الشهيدة وجيهة ربيع التي استشهدت في يوم الارض.

- صبحية رشيد المنكوش (٦٠ عاما) شارع الوحدة / غزة . استشهدت مختنقة بالغاز القى على منزلها مساء الجمعة .

الاثنين ١٠/٤/١٩٨٨

- محمد كامل عبد القادر يحيى (٢٠ عاما) قريةكفر راعي / جنين . اصيب بالرصاص اسفل الظهر.

- جلال محمد عريس (٢١ عاما) كفر راعي / جنين . اصيب بالرصاص في رأسه.

- فؤاد عزيز صالح (٥٠ عاما) كفر راعي / جنين . اصيب بالرصاص في بطنه.

الثلاثاء ١٢/٤/١٩٨٨

- سعاد احمد يوسف (٩٥ عاما) غزة. من مضاعفات ضرب ادى لكسر ساقها .

- حسن احمد محمود القاعود (٢١ عاما) مخيم الشاطيء/ غزة. اختناق بالغاز الذي القي بكثافة على المخيم.

الاربعاء ١٣/٤/١٩٨٨

- وضفة عبد اللطيف فرج الله (٧٥ عاما) مخيم الشاطيء / غزة.

الخميس ١٤/٣/١٩٨٨

- وائل حسن طه الاسمر (٢٤ عاما) نابلس. استشهد برصاصة قاتلة استقرت في قلبه.

- ناصر فهمي اللداوي (٢٢ عاما) نابلس . استشهد برصاصة قاتلة استقرت في قلبه.

الجمعة ١٥/٤/١٩٨٨

- بدرية صادق شاهين (٥٥ عاما) نابلس. تعرضت لنوبة قلبية بعد تعرض دورية عسكرية للعائلة حيث اصيبت بارتفاع ضغط دم مفاجيء وعال ادى الى انفجار في شرايين الدماغ في اعقاب المشادة التي جرت بين العائلة والدورية.

Digitized by Birzeit University Library

السبت ١٦/٤/١٩٨٨

- جمال حسين شحادة (١٩ عاما) مخيم البريج / قطاع غزة.
- عطوة ابو عرار (١٧ عاما) رفح / قطاع غزة.
- تحسين البوجي (١٧ عاما) رفح/قطاع غزة.

- محمد ابراهيم ابو صيام (٢٢ عاما) رفح/ قطاع غزة.

- ايمن عامر ابو عامر (١٩ عاما) خانيونس / قطاع غزة.
- فريد احمد ابو دراز (٢٥ عاما) خانيونس / قطاع غزة .
- عبد المحسن حنون (١٩ عاما) خانيونس / قطاع غزة .
- فكري ابراهيم الدغمة (٢٢ عاما) عبسان الصغيرة - خانيونس / قطاع غزة .
- منير اسماعيل التتري (٣٢ عاما) مخيم جباليا / قطاع غزة .
- بسام محمد فياض الحريري (٢٥ عاما) جنين.
- حلمي ابراهيم عبدالله (٢٣ عاما) جنين.
- محي الدين مصطفى ابراهيم سوالمة (٢٠ عاما) قباطية / جنين.
- سعدة القرعاوي (٤٠ عاما) مخيم جنين . ام لاربعة اطفال.
- هالة عوض عميرة (٢٠ عاما) قرية حبلة / قلقيلية . ام لثلاثة اطفال.
- ايمان عمر ابو قمري (٢٤ عاما) مخيم البريج / قطاع غزة .

الاحد ١٧/٤/١٩٨٨

- زيد توفيق سلمان عمارنة (١٢ عاما) قرية يعبد/ جنين . استشهد متأثرا بجراحه التي اصيب بها يوم السبت.
- احمد سعادة (٤٠ عاما) العبيدية / بيت لحم.

الاثنين ١٨/٤/١٩٨٨

- عايدة عثمان طوطح (٣٠ عاما) غزة.
- احمد موسى محمد زعرب (١٩ عاما) رفح.
- المولود جميل حسين علقم (اقل من اسبوع) مخيم شعفاط / القدس. استشهد متأثرا بالغاز الذي القى بكثافة داخل مخيم شعفاط في القدس. كان الطفل ولد بدون ان يراه والده المعتقل منذ احد عشر يوما في معتقل المسكوبية في القدس.

الثلاثاء ١٩/٤/١٩٨٨

- نزار احمد مساد (٢٦ عاما) قرية فقوعة / جنين . استشهد متأثرا بجراحه نتيجة لاصابته برصاصة في رأسه يوم ١٨/٤.

الخميس ٢١/٤/١٩٨٨

- محمد حسن نصار (٢٠ عاما) مخيم النصيرات / قطاع غزة .
- اسماعيل ابو الشيخ (٤٨ عاما) قلقيلية . استشهد مختنقا بالغاز المسيل للدموع.

الجمعة ٢٢/٤/١٩٨٨

- محمد فايز ابو علي (٢٥ عاما) قرية بني سهيلة / قطاع غزة.

Digitized by Birzeit University Library

- فرج اسماعيل يوسف فرج الله (٢٦ عاما) قرية اذنا / الخليل.

السبت ٢٣/٤/١٩٨٨

- محمد مصطفى ابو زيد (٢٠ عاما) قباطية / جنين . اصيب برصاصة في رأسه.

الاحد ٢٤/٤/١٩٨٨ :

- احمد حسن سليم عمرو (٢٢ عاما) / من قرية بيت الروش - دورا / الخليل .

- نعيمة محمد العلامي (٥٥ عاما) بيت امر / الخليل ، استشهدت متأثرة بالغاز المسيل للدموع جراء القاء قنبلة غازية داخل بيتها .

الاربعاء ٢٧/٤/١٩٨٨ :

- اريج اسماعيل داود (١٣ عاما) ، من قرية كفر الديك / طولكرم ، استشهدت متأثرة بالجراح القاتلة جراء الرصاص في الرأس الذي اصيبت به يوم الثلاثاء ٨٨/٤/٢٦ .

الخميس ٢٨/٤/١٩٨٨ :

- سري هلال (٣٥ عاما) قرية كفر مالك / رام الله ، استشهد نتيجة اصابته برصاصة في عنقه .

وأسرة تحرير مجلة "الكاتب" ، اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة ، تتقدم من شعبنا الفلسطيني وأهل الشهداء بخالص العزاء.

Digitized by Birzeit University Library

محطـات
محطـات
محطـات

ابو وديدة

محطة (١)

من يريد القذف بمن؟

عادت مؤسسة الحكم في اسرائيل ، واستنادا لما وصفته وكالات الانباء باستطلاع للرأي ، اجرته وسائل اعلام اميركية ، بين اميركيين من اصل فلسطيني ، ويسكنون الساحل الغربي من الولايات المتحدة ، عادت تشحن عواطف الرأي العام الغربي ، وتعبيء الرأي العام الاسرائيلي واليهودي ، بمقولة ان العرب يريدون قذف اليهود في البحر.

ويرفع المسؤولون الاسرائيليون ، على مدى اشهر الانتفاضة - هذه المقولة الكريهة كتبرير لاصرارهم على مصادرة حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ولرفضهم اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة ، على جزء من الارض التي اقرها قرار التقسيم ، رغم ما تميز به من ظلم وقت صدوره ، اي في حدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧.

وعلى مشارف الاحتفالات بالعيد الاربعين لاقامة اليهود لدولتهم وممارستهم حق تقرير المصير ، وحجب هذا الحق عن الشعب الفلسطيني ، وحرمانه من اقامة دولته ، كثرت تصريحات المسؤولين الاسرائيليين وغيرهم التي تذكر باوضاع اليهود في احياء "الغيتوات" في اوروبا وما لحق بهم من كوارث على يد النازي الهتلري اثناء الحرب العالمية الثانية في معسكرات الابادة . واكدت تصريحات المسؤولين ان ضمان عدم العودة الى تلك الاوضاع يتمثل في بقاء دولة اليهود النقية ، اسرائيل.

ولان احدا في العالم ، بمن فيهم الفلسطينيون ، لا يضمر الشر لليهود ، او يفكر باعادتهم لتلك الاوضاع او اقل منها بمئة مرة ، فان تصريحات المسؤولين تذهب الى حد تصوير الامر وكأن الاستجابة لمطمح الشعب الفلسطيني ، كما تعبر عنه الانتفاضة ، ومجمل النضال الوطني الفلسطيني في احقاق حقه في تقرير المصير ، واقامة دولته وعودة لاجئيه وتسوية المشكلة من جميع جوانبها ، كأن ذلك خطر فعلي داهم يوصل حتما الى الاوضاع التي سبقت الاربعينات ليهود

Digitized by Birzeit University Library

اوروبا. اذن وحتى لا تتكرر مأساة اليهود يجب ان تستمر مأساة الشعب الفلسطيني ، هذا هو مضمون التصريحات.

وفي اوج الاحتفالات ، يوم ٤/٢١، بعيد اسرائيل الاربعين لم تطرف عين شامير وهو يعلن بفظاظة عنصرية انه لا يجوز تشبيه حال الفلسطينيين بحال اليهود قبل انشاء دولتهم ، فالفلسطينيون هم عرب ، وجزء من الامة العربية التي لها اكثر من عشرين دولة اما للاسرائيليين فتوجد دولة واحدة.هكذا قال.

ويبلغ استخفاف شامير بوعي العالم حد اليقين بان هذا الوعي غير قادر على فهم جوهر المسألة.

وهي ان الفلسطينيين عرب فعلا. لكن الاوطان العربية ليست وطنهم وان لهم وطنا واحدا لا وطن لهم غيره وهو في فلسطين الى جانب اسرائيل وفي داخلها ، وانهم لا يريدون وطنا غيره. كما ان عدوان حكومة شامير المستمر على لبنان يقدم برهانا دامغا ان لبنان ، كاحد الاوطان العربية ، لا يمكن ان يكون وطنا لجزء من الفلسطينيين وشامير نفسه لا يرضى بذلك ، واوطان العرب لم تقبل الفلسطينيين مواطنين فيها . وهم على مدار اربعين عاما رفضوا مواطنة مثل هذه.

في وقت مضى وقد عذب الفلسطينيين التشرد واللجوء ، بما حفل به من مختلف صنوف الهوان ودوس كرامة الانسان ، رفع البعض مثل ذلك الشعار . ورددوا ما كان حكام عرب ، ومسؤولون في الهيئة العربية العليا ، - والحكام انذاك كانوا في اكثريتهم خدما للاستعمار البريطاني - شعارات تقول بضرورة اعادة اليهود الى الاوطان التي قدموا منها. ومع ان حكام اسرائيل يبيحون لانفسهم ولمن ذاقوا الام العذاب في معسكرات الابادة النازية ، والعزل في الغيتوات . قول ما هو اشد مغالاة مما قاله الفلسطينيون ، الا انهم - حكام اسرائيل - يمتنعون عن تفهم الالم الذي يدفع بمثل هذه المقولات الى السنة الفلسطينيين مع كامل المعرفة بانهم لا يملكون القدرة على تنفيذ ما يقولون .

ان الامر المهم ان من رددوا في الماضي مثل هذه الشعارات لا يتحملون مسؤوليات انسانية واخلاقية او حقوقية تجاه المجتمع الدولي . تجاه الامم المتحدة وقوانينها والعلاقات الدولية .

من الناحية الاخرى فان تصريحات المسؤولين الاسرائيليين عن دولة يهودية نقية ، وصراخات التحذير من القنبلة الديموغرافية الفلسطينية ، وما تحمله من تهديد لاسرائيل من التحول الى دولة غير ديمقراطية وعنصرية على مثال حكومة جنوب افريقيا العنصرية ، ومن ثم ما يطرح من مشاريع حلول لتجنب خطر القنبلة الديموغرافية ، اي الترانسفير - النقل - وتهجير الفلسطينيين بالقوة او بالاغراء المالي .

هذه التصريحات تصدر عن مسؤولين يتحملون مسؤوليات تجاه المجتمع الدولي ، صادقوا والتزموا بنظم الامم المتحدة ، وفوق هذا ملكوا في الماضي ويملكون في الحاضر القدرة والقوى على التنفيذ.

وتكشف الوثائق التي يتم الافراج عنها ان قذف الفلسطينيين في بحر الصحراء العربية كان سياسة اعتمدها مفكرو الصهيونية الاوائل .ووضعها القادة الذين اقاموا دولة اسرائيل عام ٤٨ حيز التطبيق .

ملخص الوضع ان المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية ، رغم التزاماتها ومسؤولياتها الدولية ، اعلنت ونفذت ، وقذفت اكثر من نصف الشعب الفلسطيني في بحر صحراء التيه العربية ، وتواصل الاعلان وتملك القدرة على التنفيذ ، وتجند الرأي العام الاسرائيلي واليهودي والغربي وراء

Digitized by Birzeit University Library

شعاراتها الكريهة ، وفي الجانب الفلسطيني هناك من يعذبه اللجوء والتشرد والحرمان فيرفع شعارا يعني اخراج اليهود كلهم لكنه بلا مسؤوليات دولية تلزمه ولا يملك القدرة او القوى التنفيذ.

لقد حققت المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية اكبر انتصاراتها الدعائية والاعلامية من خلال استغلال اقوال فلسطينية وعربية غير مسؤولة وتهديدية وتتصف بالعجز لانها لا تملك مقومات او قدرة التنفيذ . وفي المقابل موهت بمهارة شعاراتها الابادية الفظة ، وقدمتها في صوره الدفاع عن النفس. فاي مانع يحول الان دون قلب الصورة؟!

ان تصريحات مؤسسة الحكم الاسرائيلية في الاشهر الاخيرة ، وما تتصف به من عصبية وعدم اتزان ، تعكس بجلاء رهبة هذه المؤسسة من الصورة الصحيحة التي يقدمها للعالم شعب الانتفاضة .

الانتفاضة قدمت للعالم الصورة الفلسطينية الواضحة والنقية من كل شائبة . صورة تقول نحن لا نطمح لاكثر من العيش بطمأنينة وسلام في وطننا، في دولتنا المستقلة ، لا نهدد احدا ولا نهدف الى اقتلاع احد. لا نريد غير ان يرتفع الظلم والاضطهاد عنا. نبغي، كما كنا على مر العصور والقرون ، العيش سوية مع جيراننا في حيرة حسنة لا يهدد منا الواحد الاخر. نقبل بأي ضمانات دولية او منطقية تكفل ذلك . نحن ننشد المساواة لا اكثر.

اللاجئون في المخيمات التي تتعرض للقمع والحصار ، ومعهم كل الشعب الفلسطيني ، حين يطالبون بالعودة حسب الشرعية الدولية ، حسب قرارات الامم المتحدة ، فانهم يعرفون تماما ، ويقبلون بذلك مسبقا ، متجاوزين المرارات والالام ، بانهم سيعودون الى دولة اخرى غير دولتهم اي الى اسرائيل . وسيحملون جواز سفرها ، وستكون لهم حقوق المواطنين وفيها وعليهم نفس المسؤوليات .

المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية ، وجمهرة من الكتاب والصحفيين واصحاب الفكر ، يكثرون الحديث عن حضارة اسرائيل ورسالتها الانسانية ، والديمقراطية والحريات وحقوق الانسان.. الخ. ويقولون بتخلفنا في كل هذه المجالات عنهم.

لكن مقارنة بين ما يطرحه شعب الانتفاضة ، وما تظهر استطلاعات الرأي الاسرائيلية توضح ان الصورة معكوسة .

في اسرائيل يزداد التطرف نحو اليمين ، انحدار سريع نحو الفاشية . وعندنا نار الانتفاضة تنقي النفوس تطرح الخبث وتظهر اصالة معدن شعبنا النفيس . الاسرائيليون الذين ينكرون على الشعب الفلسطيني حقه الاولي في تقرير المصير في تزايد ، والمطالبة باجراءات اكثر وحشية وتطرفا في قمع الانتفاضة في تزايد ايضا. الذين يطالبون بقذف الفلسطينيين في بحر الصحراء في تزايد.

الفلسطينيون على العكس. فالذين يعرضون التعايش بين دولتهم الوطنية المستقلة ودولة مضطهديهم ، ومقتلعيهم من ديارهم يتزايدون الذين يرفضون العنف ضد المدنيين يتزايدون بسرعة مذهلة .

شعب الانتفاضة اعظم سموا من الناحية الاخلاقية والانسانية . واكثر عقلانية ووعيا بمعطيات الوضع الدولي ومسؤولياته والتزاماته.

شعب الانتفاضة عرف الطريق ، الذي كان طريقه دوما، الى ضمير العالم وروحه والمؤسسة

Digitized by Birzeit University Library

الحاكمة في اسرائيل وما تجره وراءها من تطرف وتدهور نحو الفاشية ، ضلت هذا الطريق . والنتيجة الحتمية نجاح شعب الانتفاضة بالفوز فيما يصبو اليه . وتعرية اهداف المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة وبطلان هذه الاهداف.

محطة (٢)

غيتو وارسو

تحدثت وسائل الاعلام والمسؤولين الاسرائيليين بغزارة عن مشاركة وفد اسرائيلي ، رسمي ، وشعبي ، في احتفالات احياء ذكرى تدمير وارسو العاصمة البولندية ، بما في ذلك الحي اليهودي على ايدي النازيين الالمان في العام ١٩٤٥.

واحيت المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة ، وجماهير اسرائيلية ذكرى ما عاناه اليهود ، ضمن شعوب اوروبية عديدة ، من اهوال على ايدي النازية الالمانية وابادة عشرات الملايين ، وبينهم ملايين من اليهود ، في معسكرات الابادة النازية . والاحتفالات تجيء كل عام تحت عنوان ذكرى الكارثة والبطولة وامام النصب المخصص لذلك على جبل هيرتزل.

ما عاناه اليهود من الام في العيش ضمن دوائر المعازل - الغيتوات - قاس وغير انساني. وما خلفه من مرارات وجروح عميقة في النفس والروح الانسانية عادل ومفهوم. ولكنه ذهب الى غير رجعة . والبشرية التقدمية والانسانية ، بمن فيهم اليهود ، دفعت ثمنا باهظا ودما كثيرا لازالة هذه المعاناة وجعل عودتها مستحيلة . واصدقاء اليهود في اميركا والغرب دفعوا الجزء الاقل من هذا الثمن الفادح. اما الجزء الاعظم فقد دفعه السوفييت دفاعا عن شعوبهم وشعوب اوروبا والعالم اجمع. تلك حقيقة تاريخية معروفة . فالجيش السوفييتي الاحمر هو الذي حرر معظم معسكرات الابادة النازية وهو الذي اعطى الحرية لمن حشروا فيها والسوفييت هم الذين ارسوا اسس العدالة في محاكمات النازيين المجرمين في محكمة نورمبرغ وهم الذين شددوا على اقتلاع النازية من جذورها .

والاصدقاء الاميركان استقبلوا عشرات الوف المجرمين النازيين على اراضيهم وفي اميركا اللاتينية واستوعبوا اكثريتهم في اجهزة وكالة المخابرات المركزية الاميركية وفي دوائر المخابرات الغربية . والجمهور الذي شايع النازية وخدمها شارك ايضا في اقامة وضعها اقاموا المانيا الغربية وضموها لحلف الاطلسي . وعلى ارضها يترعرع حزب نازي جديد على افكار وتراث الحزب السابق ومثله تنشأ حركات وتنمو في اوروبا الغربية والولايات المتحدة . واسرائيل لا تناصبها العداء.

الامر المؤكد ان الشعب الفلسطيني لم يفرض على اليهود العيش في معازل - غيتوات - ولم يسق يهودا الى معسكرات ابادة . ولا يتحمل انسانيا واخلاقيا ، اي جريرة جراء ما وقع لليهود في اوروبا على ايدي النازيين او غيرهم .

الامر المؤكد ايضا ان مؤسسة الحكم الاسرائيلية فعلت بالفلسطينيين شيئا شبيها بما فعله النازيون باليهود.

يستطيع المرء ان يتفهم الدوافع الانسانية وعذاب الروح الذي يدفع بشاعر اسرائيلي او كاتب او

Digitized by Birzeit University Library

اديب الى تصوير ما عاناه اليهود في الغيتو او في معسكر للابادة وان يطالب البشرية بضمان قطعي بعدم تكرار ذلك .

لكنه لا يستطيع ان يفهم كيف يتعامى نفس الشاعر او الاديب او الكاتب عن رؤية المعاناة التي يعيشها الفلسطيني منذ اربعين عاما وعلى ايدي من تعذبوا في الغيتوات وفي معسكرات الابادة النازية .

هل يكون مقبولا الاقتراح على شعراء وادباء اسرائيليين بارزين تجربة العيش شهرا واحدا فقط بجوار بركة "ابو راشد" في مخيم جباليا . فلعلهم يتحسسون ما يعانيه سكان هذا المخيم من عذابات تحفر جروحا عميقة في النفس والروح ؟ ولعلهم يسترجعون الوعي بان مؤسستهم الحاكمة هي التي دفعت باللاجئين الى هذا الوضع.

ليس هناك وجه شبه بين الغيتو الاوروبي - كما كان في وارسو مثلا - وبين اي مخيم للاجئين . تلك حقيقة . فالغيتو مدينة كاملة ، او حي كامل في مدينة ، مزود بكل ما تتزود به المدينة من وسائل خدمية وحضارية لكن التعامل معه يقتصر على اهله فقط وفيما بينهم .

حقا ان ذلك قاس وغير انساني ومرفوض . لكن ظروف العيش في مخيم كمخيم جباليا اشد صعوبة بما لا يقاس. ففضلا عن ان الارض ، التي انتزع منها ساكن مخيم جباليا ، تمتد امام ناظريه ويضطر للعمل فيها ، لصالح مالك جديد اغتصبها بقوة السلاح ، على مدى عشرين عاما ، بكل ما يخلفه ذلك من غضب مكتوم وجروح وندوب في الروح ، فضلا عن ذلك فان المسكن ذاته حقير والامل في التمتع بنتاج المدنية والحضارة الانسانية ممنوع ومحرم.

ومع ذلك تصرخ المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية واجهزتها ، ومعها اغلبية من الشعب الاسرائيلي ، ان مطلب حق العودة يعني اعادة سكن هؤلاء اللاجئين محل اليهود. مع ان اللاجئين والفلسطينيين عموما يطالبون بالعيش والسكن جنبا الى جنب. وليس محل احد كما فعل اليهود بهم.

ورغم حديث السياسيين والادباء والشعراء والكتاب وغيرهم عن معاناة اليهود في الغيتوات وما صادفوه من اهوال في معسكرات الابادة النازية فانهم وجدوا سبيلا للتصالح مع الالمان واقامة علاقات حسنة ايضا. بدعوى ان الاجيال الحالية غير مسؤولة عما اقترف اسلافها من جرائم وذلك صحيح . اما السابقون فقبلوا منهم التعويض . ومحاكمة افراد اقترفوا الكثير من الجرائم غير الممكن التسامح فيها . والمؤسسة الحاكمة الاسرائيلية تقيم مع المؤسسة الحاكمة الالمانية علاقات طيبة . ولكنها تصرخ ان ذلك غير ممكن مع قيادات الشعب الفلسطيني . وفي الشارع الاسرائيلي تتعمق نظرة الاستعلاء العنصري تجاه الفلسطينيين.

لكن الانتفاضة اوضحت لكل من في رأسه عينان ان الشعب الفلسطيني اكثر سموا من الناحيتين الانسانية والاخلاقية .

فرغم انه المضطهد بجريرة لم يقترفها . رغم انه يعيش في مخيمات اسوأ بما لا يقاس من غيتوات اليهود الاوروبية ، رغم انه لاقى اهوالا وتعرض لمآس وكوارث كثيرة على ايدي ضحايا النازية ذاتهم فانه هو الذي يمد يد التعايش ، ويعرض التسامح مع جلاديه . لا يطالب بمحاكمة احد كما لا يطلب تعويضا. فقط تمكينه من العيش بطمأنينة وسلام.

ان الكاتب والاديب والشاعر الاسرائيلي الذي يستوعب ما خلفته معاناة اليهود في الغيتوات من ندوب في الروح يمكنه ان يفهم ما تفعله صعوبة ومرارة والام العيش في المخيمات وفي الشتات

Digitized by Birzeit University Library

والتشرد . ان زيارة من مجموعة يهود متعاطفين مع القضية الفلسطينية لخيم جباليا ، وحرارة الترحاب الذي يقابلهم به اهل المخيم وما يحيطونهم به من عواطف صادقة ومشاعر ودودة واحترام تكشف للاديب والشاعر سمو الروح عند هذا الفلسطيني المعذب ، ونبل مشاعره.

انا لا اقول ان مشاعر الحقد لما جرى في الغيتوات ومعسكرات الابادة جعلت الاسرائيلي كارها للانسانية . لكن لو كان الامر غير ذلك لوثق بصدق ما يعرضه الفلسطينيون عن التعايش واخلاصهم له . ولوضع حدا لسيل الكذب الذي تغرقه به مؤسسة الحكم في اسرائيل واجهزتها ولمد يد السلام لليد الممدودة من الانتفاضة.

وبالمناسبة فان الحقيقة التاريخية التي لا مراء فيها تقول ان الشعب الفلسطيني لم يغتصب في الماضي او الحاضر وطنا لليهود . وحين منح اله اليهود فلسطين وطنا وارضا للميعاد كان الفلسطينيون اصحابها . واليهود انذاك في ذلك الماضي السحيق اغتصبوا قسما منها بالقوة واقاموا عليه مملكتهم . والفلسطينيون ايضا لا يتحملون جريرة سبي اليهود على ايدي البابليين ثم الرومان . ولم تفرغ فلسطين بعد خروج اليهود منها ، ولم يجيء الفلسطينيون من شبه الجزيرة العربية مع الفتح الاسلامي ليسكنوا بلادا افرغها السبي من اصحابها . ومن جديد لم تكن غلطة الفلسطينيين ان مؤسسي الحركة الصهيونية بنوا مشروعات على ادعاءات ثبت بطلانها . ادعاءات تقول ان ارض الميعاد ارض فارغة ، بلا شعب يسكنها ، ارض لشعب لا ارض او وطن له هو الشعب اليهودي.

هل يمكن ان نأمل ان يتحول الشعراء والادباء وذوو الفكر في اسرائيل باللوم على اله منحهم ارضا كما يقولون ، ارضا للميعاد يسكن ها شعب اخر؟! اليه يجب ان يتوجهوا بالسؤال والملامة لماذا وهو الاله لم يصنها لهم فارغة قبل مجيئهم وبعد سبيهم؟ وما ذنب شعب كانت هذه الارض وطنه عبر عصور التاريخ كلها وستظل كذلك الى الابد؟!

الى مؤسسي الحركة الصهيونية يجب ان يتوجهوا باللوم والنقد بأنهم ضللوهم حينما قالوا بعدم وجود شعب هنا. وان وجد فلا جذور له وسرعان ما يهجرها عند اول ضغط.

والا فان كلمة الههم ذاتها تقول انه يتوجب التعايش مع شعب البلاد ، صاحبها الاصلي. وان تسقط الى الابد شعارات عنصرية حول دولة يهودية نقية . وان تزال الى الابد المظالم والعذابات التي يعيشها الشعب الفلسطيني في غيتوات المخيمات في معسكرات الابادة التي اسمها المخيمات وان يتوقف مرة والى الابد قصفهم بالنابالم وحرقهم بالقنابل الفسفورية ، وتكسير عظامهم بالهراوات.

محطة (٣)

بيتا

ابرز الصحفيون والمعلقون الذين عالجوا حادث قرية بيتا اوجه الشبه بين ما جرى في القرية ومصير قرية ليديتسة التشيكية ابان الحرب العالمية الثانية .

لكن اغلبية المواطنين عندنا لا تعرف شيئا عن مصير قرية ليديتسة المأساوي. هناك صفى

Digitized by Birzeit University Library

الانصار التشيك واحدا من اكثر جلادي الشعب التشيكي وحشية. جنرال الماني اشتهر بقسوته الفظة وبشاعة وكثرة الجرائم التي ارتكبها بحق المواطنين التشيك. ونفذ فيه الانصار التشيك حكم العدالة على مقربة من ليديتسة. ورد النازيون الالمان بابادة معظم سكان القرية وتدميرها عن بكرة ابيها . وظل الى الان حائط احد البيوت قائما كشاهد للتاريخ على هول هذه الجريمة المروعة .

وعرف تاريخ المنطقة حادثا مماثلا. ففي بدايات هذا القرن ، وابان الاستعمار الانجليزي لمصر وقعت عقوبة مماثلة على قرية دنشواي المصرية التي كان ريف مصر يحتضنها بوداعة ، كما كان الحال على مر الاف السنين .

ضابط انجليزي خطر بباله ان يصطاد الحمام في دنشواي. فقتل احد الفلاحين . اثار الحادث غضب الاهالي فلحقوا بالضابط القاتل ، الذي فر امامهم في الحر اللاهب ثم سقط ميتا. ورغم ان الطب الجنائي اثبت ان الضابط مات بضربة شمس ، الا ان اللورد كرومر حاكم مصر الاستعماري سير حملة عسكرية على القرية فعاثت فيها فسادا وتخريبا واهانة . وقتلت بعض اهلها . ولم يكتف بذلك بل عقد محاكمة برئاسة بطرس غالي جد بطرس غالي الحالي حكمت على عشرة من الفلاحين بدعوى المشاركة في مطاردة الضابط الانجليزي بالاعدام . ونفذ حكم الاعدام شنقا في ساحة دنشواي.

قد يقول قائل ان التشابه بين ما حدث لكل من ليديتسة ودنشواي وما حدث في بيتا ينطبق من حيث الجوهر . وهذا صحيح. فان ما حدث لبيتا كما اوضح التقرير الصادر عن الجيش الاسرائيلي يشير الى تدبير مسبق من المستوطنين . وان اصطحاب الفتيان والفتيات اليهود كان جزءا من مخطط اثارة والهاب عواطف الجمهور الاسرائيلي . وان المستوطنين المسلحين بدأوا ، عن تدبير مسبق ، استفزاز الاهالي وارتكبوا اعمال القتل . ورد الاهالي بمحاولة الانتقام من القاتل الذي احاط جسده بدرع من اجساد الفتيان والفتيات فلحق الاذى ببعضهم ، وقتل هو ، ربما بدافع الجبن ، الفتاة تيرزا بورات . ومع ان دم ابناء القرية سفح مدرارا لكن الغضب المقدس لم يخرجهم عن انسانيتهم ولم يلحقوا ضررا بالفتيان والفتيات اليهود الذين بقوا عندهم ساعات . ولو ان جمهورا استبد به الحقد الاعمى ، كما قال مسؤولون اسرائيليون وبينهم وزير العدل والاديان ، لما استطاع العقلاء ، مهما فعلوا ، من حماية الفتيان والفتيات . وتجلى سمو انسانية الاهالي بالمسارعة لنقل المصابين من الفتيات والفتيان اليهود مع ابنائهم الجرحى بغرض اسعافهم.

لكن الرد الاسرائيلي كان مغايرا تماما. الامر الذي يدفع الى الذاكرة شريط فيلم اميركي من تلك التي تصور كيفية استيلاء المستوطنين البيض على اراضي الهنود الحمر اصحاب البلاد الشرعيين بعد ابادتهم .

لا بد يذكر القارىء ان حملات الاستيطان الابيض الزاحف على الغرب الاميركي كانت تبدأ بدفع اوباش المستوطنين للتحرش بالقبائل الهندية المسالمة . وحين كان الهنود الحمر يردون بمعاقبة مسؤول عن فعل جبان ضدهم ،كان الجيش الاميركي والقضاء الاميركي.. وغيرهما من المؤسسات لا يرى في المسألة غير ان دما ابيض سفك ، او بنتا بيضاء خطفت وان ذلك يستحق تثمينه للحدية ، يملي عليه واجب التفكير بدناءة ما فعله الرجل الابيض او البحث في ماضيه الاجرامي. وكان الجيش يزعم انه ينفذ اوامر فقط وتلك مهنته ومهمته.

Digitized by Birzeit University Library

وهكذا كان مثل هذا الفعل يجر حملة عسكرية على القرية الهندية الامنة ، والمستوطنون كانوا يسبقونه في اغلب الاحوال ، ليقتل من الهنود من يقتل ، ولتحرق القرية ، وليرحل من تبقى الى ارض جديدة .

وتاريخ التعامل مع الهنود الحمر لا يعترف بان لهؤلاء الناس مشاعر انسانية ، او حقا في الغضب على ما يقترف بحقهم من جرائم ، او حتى عواطف امومة .. كتلك التي عند وحوش الغابات.

اليس مثل هذا هو الذي جرى في بيتا؟! ان مسارعة وزير العدل ووزير الاديان وغيرهم بالمطالبة بمحو بيتا من الوجود واقامة مستوطنة بدلا منها لا يمكن فهمه بانه تنفيس لمشاعر الغضب على دم فتاة سفكه حارسها.

وهدم ١٤ بيتا وتصديع ٤٠ بيتا بأتت غير صالحة للسكن وسجن المئات من ابناء القرية وابعاد اخرين وفرض عقوبات صارمة منها حظر تجول زاد عن شهر لا يمكن فهمه بانه محاولة لاسترضاء مشاعر المستوطنين الغاضبة .

لو ان اسرائيل دولة قانون كما يقولون ، لو ان الديمقراطية وحقوق الانسان فيها تحترم لو ان لها رسالة انسانية ، لما قبل شعبها التصرف بهذه الوحشية مع بيتا. لقد اوضح الحادث ان مؤسسة الحكم الاسرائيلية ومؤيدوها لا يعدو كونهم مستشرقين لا يستطيعون فهم عمق روابط هذا الشعب مع ارضه. فالاجراءات العنيفة لم تفلح في دفع فكرة الرحيل الى رأس اي شخص من بيتا او اي قرية اخرى وعلى العكس كان نصب الخيام على اطلال البيوت الهدومة صفعة قاسية لاصحاب افكار الترحيل الذين يعيشون في عالم بداية هذا القرن ، عالم الغرب الامريكي المتوحش ومن جديد قدم الفلسطينيون مثالا غاية في الدلالة والسطوع على سمو انسانيتهم وعلى تفوقهم الاخلاقي والضميري على مدعي حمل رسالة الانسانية المستنيرة.

محطة (٤)

هيروديون والجنادب

اثناء زيارة اسحق شامير رئيس وزراء اسرائيل لتلة الفرديس ، حيث القصر الروماني هيروديون اشار باصبعه الى اهالي قرية زعترة ووصفهم في خطابه بالجنادب التي تزحف عند الاقدام . واهالي زعترة ليسوا غير رمز للشعب الفلسطيني بأكمله . وقال في تهديد للانتفاضة انه سيحطم رؤوس الجنادب بحجارة هذا التل.

ومع ان شامير كان يتحدث عن المقاومة البطولية للشعب اليهودي ، في ذلك العصر السحيق بقيادة باركوخبا ضد المحتلين الرومان الا ان سامعيه لا بد قد فكروا بان نوعا من الشوزفرينيا - جنوب مركب العظمة -قد اصابه ، وربما تصور نفسه صاحب القصر الامبراطور الروماني هيرودتس. فالسكان في عصر العبودية ذاك كانوا لا يزيدون في نظر الامبراطور عن الجنادب.

لكن هذه البذاءة العنصرية ، التي لم يصل لدركها عنصري او فاشي سابق ، فسمح لنفسه بتشبيه شعب بكامله بحشرات كالجنادب ، غير رفائيل ايتان المراصيري ، رئيس الاركان الاسرائيلي الاسبق ، الذي شبه الفلسطينيين بصراصير مسممة في قنينة ، لم تلق رد فعل

Digitized by Birzeit University Library

استنكاري واسع بين شعب اكتوى بنار العداء للسامية وتعرض للابادة على يد من ظنوا انفسهم انهم من الجنس الاري الاسمى. الامر الذي يشير الى ان ذوي الضمير في اسرائيل قلة والا لما مرت تصريحات شامير بالسهولة التي مرت بها.

ولو كان الاعلام العربي عموما ، والفلسطيني على وجه الخصوص ، وممثليات منظمة التحرير في اوروبا واميركا غير مشغولة باشياء لا يعلمها الا الله وحده ، لجعلت من تصريحات شامير هذه خطوطا عريضة لحملة دبلوماسية واعلامية ودعائية واسعة النطاق. ولاستثمرتها بشكل مضمون النجاح. لانها برهان دامغ على عمق تغلغل العنصرية في المجتمع الاسرائيلي باسره الامر الذي يفسر بقاء شامير رئيسا للوزراء بعد تفوهاته هذه.

فهل نأمل بان نحسن الظن بالمؤسسات التي سبق ذكرها؟ وان نذكرهم بان تصريحات اقل من هذه فظاظة بكثير كانت تقيم الدنيا ولا تقعدها وتعبيء الرأي العام بالكره والغضب على الفلسطينيين . ولا تهدأ عاصفتها قبل تثبيت الصورة القبيحة في اذهان الرأي العام الغربي. ليس لنا مفر غير ان نأمل الان على الاقل.

محطة (٥)

اضغاث احلام

تكرر تصريحات كبار العسكريين والمسؤولين السياسيين ، حول عجز الجيش الاسرائيلي عن قهر الانتفاضة ، تبريرات لا تستقيم مع المنطق السليم . العسكريون ، وعلى سبيل المثال الجنرال ايهود باراك ، نائب رئيس الاركان ، وكذلك بيرس وشامير ورابين وغيرهم ، يزعمون ان الجيش لم ينجح في قهر الانتفاضة لانه لا يستخدم الاساليب التي استخدمها الرئيس حافظ الاسد في حماة او تلك التي استخدمها الملك حسين في ايلول الاسود. ايهود باراك قال:"نحن نستطيع ذلك من الناحية التقنية لكننا شعب مختلف ودولة مختلفة" . وقال غيره انهم يستخدمون القوة في اطار ما تسمح به معاييرهم الانسانية والاخلاقية . وردا على غضب العالم على وحشية الاساليب التي يستخدمها الجيش الاسرائيلي في قمع الانتفاضة وهذا الاجماع الدولي في الامم المتحدة ومجلس الامن على ادانة اجراءاتهم ، يقولون ان مردها كرد اليهود المتأصل في النفوس على مدى قرون من السنين . وغيرهم يتحدث عن عدم تأهيل الجيش ، وعدم توفر الخبرة ، ونقص التدريب لمواجهة مثل هذه المهام واعداد الجيش الاسرائيلي لمهام مختلفة .

من الخطأ الظن بان القادة ، عسكريين وسياسيين ، الذين يطلقون مثل هذه التبريرات ، على غير دراية وعلم ببطلانها الاكيد . وانهم اكثر من هذا يعرفون ان جيشهم وحده يملك ميزة لم تتوفر لاي من الجيوش التي واجهت حركة شعبية كالانتفاضة ، في البلاد العربية او خارجها.

ومن غير الصعب رؤية ان هؤلاء الساسة والعسكريين يحرقهم الغيظ ويكزون على الاسنان من ان الانتفاضة تحرمهم امكانية المواجهة في ميدان يملكون التفوق المطلق فيه ، وانهم يتلهفون للحظة تنزلق فيها الانتفاضة الى هذا الميدان لكي تتحرر ايديهم فتستخدم وبأقصى الشدة كل ما تملكه من تكنولوجيا متوفرة في ترسانة الابادة . ومن غير الصعب رؤية انهم يستعجلون تصريحات تقول بامكانية استخدام السلاح في مرحلة ما من مراحل الانتفاضة .

Digitized by Birzeit University Library

في مكة المكرمة دامت المواجهة مع الحجاج الايرانيين يوما واحدا فقط. وفي حادث الحرم المكي الشريف وفي حماه كما في عمان وعجلون كانت طبيعة المواجهة مغايرة كلية لما هوالحال في الضفة والقطاع . في تلك الحالات واجه السلاح سلاحا. وفي مثل هذه المواجهات تكون الغلبة لمن يملك التفوق في السلاح وفي القدرة على استخدامه . وفي مثل هذه المواجهات لا توجد قواعد تعتبر الفعل برد فعل مساو تماما . فالبندقية تواجهها دبابة وحتى طيارة حربية . وحجم الدمار وما يزهقه من ارواح مدنية يظل على هامش هذه المواجهة.

ومع ذلك فان مواجهات ايلول الاسود وحماه لقيت ادانة عالمية واسعة كما شهدت تغطية اعلامية واسعة بمقاييس ذلك الوقت . وظلت وصمة عار في جبين تلك الانظمة التي اقترفتها.

ان الجيش الاسرائيلي في مواجهاته مع اهل الارض المحتلة يواجه شعبا اعزل من السلاح ، ولا يدور بخلد المشاركين في الانتفاضة ان المواجهة ستؤدي الى تفكيك هذا الجيش وهزيمة دولته واسقاط نظامها كما يزعم قادة اسرائيل عن ان الانتفاضة هي حرب جديدة.

والذين يعرفون خبرة المواجهة مع الجيش الاردني في اواسط الخمسينات ايام الغضب على حلف بغداد يدركون ان الجيش الاسرائيلي يتمتع بميزة لا تتوفر لجيوش محلية وطنية . فالجنود الاسرائيليون لا تربطهم بأهالي المناطق المحتلة اي روابط انسانية كقرابة الدم والاسرة والاهل. ولذلك فالجندي الاسرائيلي يضرب بكل الحقد الذي لا يزعزعه خوف على الاسرة او الاخ او القريب. ومع الايام ، على عكس جيش محلي ، يتزايد حقده على مقاوميه وينزع الى ضربهم بشدة اكبر. وارقام القتلى والجرحى والدم والمعتقلين لا تحرك فيه اي مشاعر. ولو كان الجيش وطنيا او محليا لتفكك حتما مع طول المواجهة وسقوط هذه الارقام الكبيرة من الضحايا شهداء وجرحى.

وفي المواجهات التي وقعت مع الجيش الاردني ، وقوات البادية في اعوام ٥٦،٥٥ ضرب الجيش بقوة في الايام الاولى لكنه بدأ ينحاز يوما بعد اخر لاهله ، لناسه ، لقضيتهم . ولنتذكر انه في ظل تلك الحوادث لم يسقط من الشهداء عشر ما سقط في المواجهات مع الانتفاضة . وكانت اغاني واناشيد المعتقلين تشق عنان السماء سواء وهم محملون في الشاحنات او في الجفر ومعسكرات الاعتقال الاخرى.

وعلى اي حال ليس صدفة ان ممارسات الجيش الاسرائيلي تستفز الرأي العام العالمي ، بمن فيه الاميركي واليهودي الى هذا الحد . واليهود الاميركان والفرنسيون لا يمكن اتهامهم بالتحيز ضد اسرائيل وجيشها الذي كان لسنوات طويلة موضع فخرهم. حقيقة الامر ، ان الجيش الاسرائيلي يطبق ممارسات لم تسبقه اليها قوة اخرى ولم تطبق اجراءات في اي مكان في العالم بمثل هذه القسوة والعنف والتنوع.

واكثر من هذا يعرف ساسة اسرائيلي وعسكريوها ان المستعمرين الانجليز في الهند ، والفرنسيين في الجزائر وفيتنام قدموا تعليلات وتبريرات مماثلة . وليتهم يستمعون لبعض ذوي الضمير من الاسرائيليين . ذلك ان الانتفاضة تمثل تطلع شعب يصبو الى الانعتاق ، الى الحرية ، الى ممارسة حقه الطبيعي في تقرير المصير.

ان تهديدات رابين ، وشامير وغيرهم بان الفلسطينيين لن يجنوا شيئا من سلوك طريق العنف ، وان اسرائيل لن تفاوض تحت ضغط الانتفاضة ، لا تعدو كونها مجرد تحايلات على الرأي العام العالمي وايغالا في خداع العالم والنفس قبل ذلك.

Digitized by Birzeit University Library

الانتفاضة لم تطرح ولم يدر بخلدها انها قادرة على هزيمة اسرائيل ، ولم تضع ذلك هدفا لها. كل ما في الامر ان الانتفاضة تريد ابلاغ العالم ان شعبا مضطهدا يطالب برفع الظلم عنه وباحقاق حقه المشروع في تقرير المصير . ولقد نجحت في ايصال هذه الرسالة لضمير العالم ، وهي بالمواصلة تريد تثبيتها في ذهن العالم في وعيه وضميره ثم تريد منه ان يتحرك من اجل اعادة الحق الى نصابه . بيد حكام اسرائيل وقف الانتفاضة ليس بالقوة العسكرية كما يقول بعض العقلاء فيها. بل باعلان الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وبدون تفصيل هذا الحق حسب مقاييس ومعايير تراعي الموضة او ذوق هذا او ذاك من المسؤولين الاسرائيليين . ان كل نقطة دم تراق ودمعة طفل تسكب هي في النهاية وفي الحقيقة مسؤولية تعنت هؤلاء الحكام ، الذين سيضطرون حتما الى التسليم والاقرار بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وبغير ذلك ، بتكنولوجيا العسكرية لا يمكن وقف الانتفاضة . هاكم المؤتمر الدولي ذو الصلاحيات الكاملة الفعال هناك بداية الطريق طريق الاعتراف المتبادل طريق الضمانات لسلام امن ، عادل ، شامل ووطيد.

محطة (٦)

هدوء... لا هدوء

اعلن اسحق شامير رئيس وزراء اسرائيل ، في يوم الاحتفال بالعيد الاربعين لانشاء دولة اسرائيل ،ان الهدوء لم يعد الى المناطق الفلسطينية المحتلة . ويكون بهذا الاعلان قد اعترف بالعجز عن الوصول للهدف الذي سبق وتعهد به بعد عودته من واشنطن واتخاذ سلسلة من الاجراءات القمعية الجديدة .

وكان الاسبوع الذي سبق الاحتفالات ، بشهادة وسائل الاعلام الاسبوع الاكثر دموية طوال الانتفاضة من حيث عدد الشهداء والجرحى الفلسطينيين . وبدأت الاحتفالات وحظر التجول مفروضا على قرابة نصف سكان المناطق المحتلة والنصف الثاني مغلق امام وسائل الاعلام باعتباره مناطق عسكرية مقفلة .

تصريحات كبار العسكريين اوضحت ان حجم القوات العسكرية زاد الى خمسة اضعاف ما كانت عليه قبل الانتفاضة والنية تتجه الى زيادات اخرى. ومعسكرات الجيش المؤقتة بدأت تتحول الى معسكرات دائمة مع ما تتطلبه من نفقات وجهود اضافية .

رابين وزير الدفاع اعلن عن تضخم عدد المعتقلين وعن فتح معتقلات جديدة كما اعلن عن اجراءات عقابية جديدة تتمثل في فرض غرامات مالية باهظة على اهالي الشبان الذين يعتقلون او والدواء الشافي لوقف الانتفاضة .

قبل هذه الاجراءات سبقت سلسلة من التصريحات عن هدوء نسبي والاعراب عن امال بعودة قريبة للهدوء. اي تكرار للصورة ذاتها التي لازمت الانتفاضة طوال الشهور الماضية .

ليس ما يهمنا هنا مناقشة هذه المقولات ولا تذكير المسؤولين الاسرائيليين بالتحليلات والاستنتاجات الحكيمة لمعلقين ومحللين اسرائيليين ولقادة عسكريين بان الحل العسكري غير

Digitized by Birzeit University Library

ممكن ولا بد من حل سياسي يقوم على اساس احترام والاقرار بحق الشعب الفلسطيني في ممارسته لتقرير مصيره واقامة دولته المستقلة وبداية الطريق في القبول بمؤتمر دولي كامل الصلاحيات وفعال.

هناك من يأتي متسائلا بعد سماع تصريحات المسؤولين الاسرائيليين عن الهدوء فيما اذا كان زخم الانتفاضة قد بدأ في التراجع او انها ما زالت محتفظة بهذا الزخم قوية متصاعدة .

قلت لاحد السائلين ، من ملاحظاتي كصحفي يمكنني ان اقول لك الاتي. يبدو لي ان تعبير ثورة الحجارة واطفال الحجارة وفتيان الحجارة..الخ بدأ يضفي على الانتفاضة صورة غير كاملة وغير واضحة . فاذا توقفنا عند هذا التعبير فان عدد المصادمات واماكنها وعدد المشتركين فيها ، والشهداء والجرحى تكون هي المؤشرات الوحيدة للهدوء او اشتعال الانتفاضة . وفي هذا نوع من التسليم الخاطيء بالمفهوم الذي تروجه اسرائيل من ان الانتفاضة هي من عمل فتيان وشبان غير واعين ومتطرفين يفرضون بالعنف التزام الفئات الاخرى بتنفيذ ما يريدون.

وهذا معاكس للحقيقة المسلم بها ان جميع فئات الشعب الاجتماعية ، ومن مختلف فئات الاعمار ومن الجنسين منخرطون في الانتفاضة . لكن لكل فئة دورها ولكل سن عمله.

ان المصادمات كما يتضح من الصور التلفزيونية هي من اختصاص سن تحت ٣٥ عاما وفوق عشرة اعوام . التركيب الجسدي ، العضلي ، الطاقة الداخلية ، الاعباء العائلية .. الخ تؤهل ابناء هذه الفئة من السن لمثل هذا العمل. وهؤلاء سقط منهم شهداء والاف الجرحى وغيبت السجون الافا اخرين والمطلوبون مثلهم . وحظر التجول والقوة العسكرية المتزايدة العدد والعدة والاجراءات العقابية المتصاعدة تجعل القيام يوميا بالصدامات وفي كل المواقع امرا غير ممكن . حتى الجيوش النظامية ايام الحرب العالمية الثانية لم تكن تحارب يوميا وعلى كل الجبهات.

المسألة الاساسية ان فئات الاعمار جميعا ، والفئات الاجتماعية جميعا منخرطة في الانتفاضة كل قدر جهده وباسلوب يتناسب مع طاقته.

لنأخذ امثلة . لقد فشلت ضغوط السلطة العسكرية وهي غير قليلة على اي فئة من فئات التجار في اجبارها على فتح محلاتها حسب جدول السلطة . وتسير السلطة حملة عسكرية وراء اخرى لاعادة احتلال قرى تعلن نفسها مناطق محررة . وفي كل مرة تزج بقوات اكبر وتستخدم طرقا واساليب عسكرية جديدة في الاقتحام و "تأديب" اهالي القرية ، لكن القرية تعود محررة بمجرد خروج الجنود منها. وكثير من القرى تم احتلالها خمس مرات واكثر حتى الان وغيبت السجون العشرات من ابنائها لكنها لم تخضع ومع ذلك تتصدى بنفس البسالة لقوة مهاجمة اذا كان الميزان في صالحها.

والمناطق التي يفرض عليها حظر التجول ، رغم طول الاجال ، ورغم العدد الكبير من الجرحى والمعتقلين ورغم سقوط شهداء ، ورغم المعاناة الفظيعة من طول الحصار تعود للتظاهر اما في ساعات رفع التجول او بعد ايام من رفعه وليعود الحظر من جديد.

والغالبية الكبيرة من المخيمات والبلدات القديمة داخل المدن اغلقت مداخلها بالبراميل الاسمنتية او احيطت بالاسيجة العالية .

وفي المدن والقرى والمخيمات يتشكل المزيد والمزيد من اللجان الشعبية متنوعة الاغراض والاعمال. واقبال المواطنين على الانخراط فيها يتسع ويتعاظم.

والاقبال يتسع على تنفيذ برامج الاقتصاد المنزلي . انك حين ترى صاحب فيلا يشمر عن

Digitized by Birzeit University Library

ساعديه لزراعة بضعة اشتال من البندورة فلا يجوز النظر للمسألة بان هذه الاشتال سيكفي ثمرها العائلة طول السنة المسألة في المضمون.

وحين ترى المحلات مغلقة تماما ما يزيد على الشهر والناس رتبوا حياتهم في سوق تعامل اخر غير السوق المعتاد ، وحتى حين تسمع تذمرا من قلة الدخل فانك لا تسمع مطالبة بالنكوص والعودة . وفوق هذا وذاك يستمر تمرد الناس على دفع الضريبة وعدم اطاعتهم لتهديدات السلطة رغم ان بعض الفئات كسواقي السيارات العمومي ممسكوين من رقابهم . والاضراب يكون شاملا وتاما في ايام اعلانه رغم كثرتها غير المفهومة احيانا ورغم اعتراضات يسمعها المواطنون على توقيتها . واجهزة السلطة تواصل الانهيار كالشرطة والضريبة والبلديات المعينة ..الخ. والاعياد الدينية اقتصرت على الطقوس دون اعتراضات وتذمرات واغلاق الجسور وعدم وصول التحويلات لا يثير تذمرا. وغير ذلك كثير.

ان المرء يستطيع ان يسرد الكثير من هذه الظواهر او لنقل اساليب عمل الانتفاضة واذا ما جمعها معا يخلص لاستنتاج واحد الانتفاضة مستمرة وزخمها في تعمق واتساع . اما القول بان حجم المظاهرات بات اقل من السابق ، وبات عدد المشاركين فيها اقل ، فاقول من خبرتي الصحفية عن العالم اقول هذا امر طبيعي فالناس لا يتواجدون كل يوم في الشارع . يتواجدون عندما تكون هناك ضرورة مثل يوم الارض ويوم استشهاد ابو جهاد ولو كان الامر غير ذلك لما اكره المسؤولون الاسرائيليون على مواجهة العالم بهذا الاجراء غير المقبول فرض منع التجول على نصف السكان واعلان النصف الاخر مناطق عسكرية مغلقة ولما استمروا في الاجراءات الفظيعة اغلاق المنافذ بالحواجز الاسمنتية واحاطة المخيمات والبلدات بالاسيجة العالية . وغير ذلك انتبهوا الى نفسية الناس كل الناس اعتزازهم بما فعلوا حفاظهم على كرامتهم..الخ.

محطة (٧)

ارهاب الدولة

قاطعت اسرائيل جلسة مجلس الامن الدولي المخصصة لمناقشة جريمة اغتيال الشهيد خليل الوزير - ابو جهاد - في تونس . شمعون بيرس وزير الخارجية برر قرار حكومته بانه "لا يمكن تصور ان تقوم بضع دول بمحاكمة اسرائيل في جلسة لمجلس الامن تتركز فيها المناقشات على اصدار قرار يتهم اسرائيل بممارسة ارهاب الدولة في اغتيال ابو جهاد".

واسرائيل بهروبها من مواجهة الرأي العام العالمي الذي ضبطها هذه المرة متلبسة بممارسة الارهاب الدولي ، وان كست وجهها وهي هاربة بكل مسحات الصلافة والصفاقة ، فقد تركت لحليفتها الولايات المتحدة مهمة الدفاع ومواجهة الرأي العام العالمي . لكن الادانة صدرت ومحامي الدفاع لم يجد امام ضخامة القرائن غير ان ينزوي ممتنعا عن التصويت وان يكرر الاسطوانة المشروخة ، القرار غير متوازن ومنحاز ..الخ وان كان متأخرا بعد ثبوت ممارسة اسرائيل للارهاب الدولي الرسمي بارتكابه سلسلة من الجرائم ضد الشعب الفلسطيني وقادته وممثليه الدبلوماسيين ، كانت العواصم الاوروبية كلها بلا استثناء ، ومدن اميركية ، مسرحا لها .

المحاكمة والقرار مثلا حدثا ايجابيا كبيرا . وهما قد فضحا زيف الشعارات التي ترفعها

Digitized by Birzeit University Library

الدولتان الحليفتان ، اسرائيل والولايات المتحدة ، حول مكافحة الارهاب وتجندان حملة دولية من اجل ذلك ، وتصنفان الارهاب بانه كل عمل لا يتفق او يتعارض مع سياساتهما ومصالحهما . .

وفي دفاعها عن الارهاب الاسرائيلي الرسمي ، امام مجلس الامن كأنما تقول الولايات المتحدة للعالم ان كل ممنوع على العالم مسموح لاسرائيل . فهذه المقصوفة بلبق لها حتى الارهاب الدولي بلبق لها .

وجريمة اغتيال ابو جهاد كما هو معروف ليست الاولى ولن تكون الاخيرة عند دولة ضالعة في هذا النوع من العمل على مدى طويل من السنين يسبق انشاءها. قبل انشائها ارتكب قادتها الحاليون سلسلة من جرائم الاغتيال كان اغتيال مبعوث الامم المتحدة الكونت برنادوت اكثرها استفزازا للرأي العام العالمي باعتباره اوروبي وابيض ، فالدم الفلسطيني ، كما الدم الهندي الاحمر لا يثير غضب الاوروبيين المتحضرين.

ومنذ العام ٦٧ كانت جرائم اغتيال قادة فلسطينيين في بيروت والخيمات وفي باريس وبروكسل وروما واثينا .. الخ الى جريمة تفجير سفينة العودة واغتيال ثلاثة من الفلسطينيين قبلها بيوم في قبرص.

ورغم هذا السجل الحافل بعمليات الارهاب الرسمي الدولي نجحت اسرائيل في الافلات . بمساعدة حليفتها الولايات المتحدة والحليفات الاوروبيات ، والنفوذ في وسائل الاعلام ، من ان تدمغ بهذه الصفة . اكثر من ذلك نجحت في دمغ النضال الوطني الفلسطيني ومنظمة التحرير بها، وتجنيد كره عام غربي لها.

لكن حتى المحترفين ، كما في الجرائم الجنائية العادية ، لا بد ان يأتي يوم للامساك بهم من ثغرة او خطأ صغير . وكانت فرحة النجاح باغتيال ابو جهاد ، لضخامة ما يمثله ، قد اعمت قادة اسرائيل فامسك العالم بهم متلبسين وفشلت الولايات المتحدة ، رغم ضلوعها في فنون الدفاع عن تبرئتها.

لقد حاولت اسرائيل باغتيال ابو جهاد التملص والخروج من الزاوية الضيقة التي حشرها فيه النضال الوطني الفلسطيني الذي توجته الانتفاضة بفعلها الكبير. وظنت انها بالقضاء على هذا المناضل الكبير ، الصلب والعنيد ، ستطفيء لهب الانتفاضة . مستندة الى وهم ان رؤية المواطنين لذراع قوتها الطويلة وهي تمتد على هذا البعد لتطال هذا المناضل في بيته ، سيسقط اليأس في نفوس ابناء الانتفاضة فيتوقفون . وذراع القوة هذا وطوله سيذكر الناس ، هكذا ظنت ، بما فعل في مفاعل تموز النووي العراقي وفي حمام الشط في تونس وتهديد الصواريخ السعودية ..الخ.

واصاب تشخيص ماير فلنر ، السكرتير العام للحزب الشيوعي الاسرائيلي ، لهذا الفعل الجبان كبد الحقيقة حين سأل القادة الاسرائيليين في الكنيست علام تتباهون ، هل هناك ما يدعو للفخر في تنفيذ دولة ، بمثل هذه الامكانيات التكنولوجية والعسكرية ، لفعل تنفذ مثله عصابات المافيا ، وبدقة اكبر ، عشرات اعمال الاغتيال سنويا.

ومن اللحظة الاولى قفزت جماهير الانتفاضة الخطة الاسرائيلية فهذا الفعل الجبان ليس دليل قوة بل دليل ضعف لم يصدر عن حكمة بل املته حماقة محاصر يختنق في عزلته . حماقة قادت اصحابها الى انتزاع جائزة الارهاب الدولي الرسمي والى اذكاء لهيب الانتفاضة.

Digitized by Birzeit University Library

المحطة الاخيرة

الانتفاضة واشقاؤنا العرب

في شهر الانتفاضة الاولى كان المرء كثيرا ما يسمع تساؤلا من المواطنين ، في صورة صرخات ضيق ، اين العرب؟ لماذا لا يمدون يد المساعدة؟ اين النخوة العربية؟! اين الدعم السياسي والمعنوي! وغيرها من التساؤلات.

والمدقق في هذه التساؤلات يتبين انها موجهة للانظمة العربية . ويوما اثر اخر اخذ المواطنون يصغون بانتباه اكثر للقائلين بان الامل يتركز في ان لا تغدر بنا الانظمة العربية. بان لا تتآمر او تنخرط في مؤامرات الاعداء علينا . في ان لا تحاول قتل الانتفاضة او خنقها.

وجاء شولتز في رحلته الاولى والثانية وتبدت خيانة بعض الانظمة العربية وغدرها جليا واضحا. وافشلت الانتفاضة مهمته رغم جولات ثلاث قام بها ممثل اقوى واغنى دولة في العالم كما تصفها الانظمة العربية التابعة .

وكان اعلان الاردن في ختام الجولة الثالثة بانه يرفض تمثيل الفلسطينيين نيابة عنهم وانه يتمسك بان تمثلهم منظمة التحرير ، وهي المخولة وحدها في بحث الشؤون الفلسطينية في المؤتمر الدولي وان دور الاردن يقتصر على اسداء المشورة ان طلبت والمفاوضة على اراض اردنية محتلة في وادي عربة وعند موقع مشروع روتنبرغ ، وانه يؤيد قيام دولة فلسطينية مستقلة ..الخ. كان هذا الاعلان انتصارا للانتفاضة احس به المواطنون من اعماق النفس وقابلوه بترحاب.

ومناقشات المواطنين تعرب عن الامل بأن يؤدي الاردنيون الان دورهم كاشقاء فعلا. ان يثبتوا اخلاصهم لما اعلنوه. كأن يكفوا عن المضايقات للفلسطينيين ابناء الانتفاضة واخوتهم ، في مسائل كجوازات السفر مثلا ، ووقف مضايقات الطلاب وعابري الجسور ووقف الاستجوابات في دوائر المخابرات وتسهيل معاملات التصدير عبر الاردن وغيرها وغيرها من عشرات المضايقات التي دأبوا على ممارستها طوال السنين الماضية.

ومؤخرا بدأت انظار المواطنين في الارض المحتلةتتجه الى الشعوب العربية وتتعجل ثورتها وتتساءل بنفاذ صبر ما الذي يمنعها؟ ان القمع في الارض المحتلة اعتى بكثير مما يمكن ان يواجهوه هناك. فقوات الجيش وفروع القمع الاخرى تربطهم بها رابطة دم ومن غير الممكن ان تمارس العنف بنفس القسوة التي يمارسها اجنبي يعتقد ان هذه الارض وطنه وان المنتفضين هم شعب يريد سلبهم اياها.

لكن هذه التساؤلات اخذت تخف يوما بعد اخر وان كان الترقب والامل يتعاظمان . وبعد شهور خمسة ترسخت قناعة الناس ان الدعم مهما كان متعدد الجوانب من وراء الحدود يظل عاملا ثانويا الاساسي والجوهري هنا . وفوق هذا او ذاك لا تنتقل التجربة بسرعة كما في تجربة كيماوية ولا حتى بسرعة عملية بيولوجية .

انها عملية. نعم. ولكنها عملية معقدة تحتاج لزمن وطول نفس . خبرات وتجارب تتراكم في الوعي. والوعي لا يتعلق بشخص انه وعي جماهير واسعة ولا بد ان التراكم في الوعي سيصل يوما ما الى نقطة التحول لكن متى؟ الجواب يعتمد على تفاعل مجموعة كبيرة من العوامل المتشابكة

Digitized by Birzeit University Library

لكن لا بد آتية. الامر الجوهري ان ما يجري خارج الحدود ، حتى عند الاهل ليس هو العامل الفاصل. الاساس هنا وسيبقى هنا وهكذا تتطور الانتفاضة وتتصاعد ويتصاعد قلق وخوف الانظمة العربية من انفجار براكين لا بد آتية.

النص الكامل لمشروع قرار مجلس الامن الذي أفشله «الفيتو» الامريكي

وثيقة

● نيويورك ـ و.ص.ف ـ في ما يلي النص الحرفي لمشروع القرار الذي قدمته ست دول تنتمي الى كتلة عدم الانحياز في مجلس الأمن (وهي الجزائر والارجنتين ونيبال والسنغال وبوغسلافيا وزامبيا) والذي افشلته الادارة الامريكية باستخدامها حق النقض الفيتو ضده امس الاول الجمعة:

وان مجلس الامن، اذ يعرب عن بالغ قلقه ازاء الحالة الراهنة في الاراضي الفلسطينية المحتلة، واذ يؤكد من جديد قراراته ٦٠٥ (١٩٨٧)، المؤرخ في ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧ و٦٠٧ (١٩٨٨) المؤرخ في الخامس من كانون الثاني (يناير) ١٩٨٨ و٦٠٨ (١٩٨٨) المؤرخ في ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٨،

«واذ يشير الى تقرير الامين العام المؤرخ في ٢١ كانون الثاني (يناير)،

«وقد علم بقيام اسرائيل، السلطة القائمة بالاحتلال، بابعاد ثمانية من الفلسطينيين المدنيين في ١١ نيسان (ابريل) ١٩٨٨ وبقرارها مواصلة ابعاد المدنيين الفلسطينيين في الاراضي المحتلة،

«واذ يساوره شديد القلق والجزع ازاء التدابير التي اتخذتها اسرائيل ضد الفلسطينيين المدنيين وتاديبها في سياستها المتمثلة في اتخاذ تدابير للمعاقبة الجماعية مثل ما قامت به مؤخراً من هدم للمنازل في قرية بيتا.

«واذ يعرب، ايضاً، عن القلق البالغ ازاء الاجراء، الذي اتخذ بحق الشيخ سعد الدين العلمي، رئيس المجلس الاسلامي الاعلى، الذي تعرض للاعتداء والضرب في الحرم الشريف في القدس في الاول من نيسان (ابريل) ١٩٨٨.

«واذ يؤكد من جديد ان اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب المؤرخة في ١٣ آب (اغسطس) ١٩٤٩ تنطبق على الاراضي الفلسطينية والاراضي العربية الاخرى التي تحتلها اسرائيل منذ العام ١٩٦٧، بما فيها القدس.

«واذ يشير بصفة خاصة الى احكام المادة ٤٩ من اتفاقية جنيف الرابعة ويعرب عن جزعه لاستمرار اسرائيل في نقل سكانها المدنيين الى الاراضي التي تحتلها وتجهيز هؤلاء المستوطنين بالاسلحة التي استخدمت ضد الفلسطينيين المدنيين.

«(١) يحث اسرائيل السلطة القائمة بالادارة على التقيد فوراً وبدقة باتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب المؤرخة في ١٣ آب (اغسطس) ١٩٤٩ والامتناع، على الفور، عن سياستها وممارساتها التي تشكل انتهاكاً لاحكام الاتفاقية.

«(٢) يحث كذلك اسرائيل على الغاء أمر ابعاد المدنيين الفلسطينيين وضمان العودة الامنة والفورية الى الاراضي الفلسطينية المحتلة لمن تم ابعادهم بالفعل.

«(٣) يحث مرة اخرى اسرائيل على ان تكف فوراً عن ابعاد اي مدنيين فلسطينيين من الاراضي المحتلة.

«(٤) يدين سياسات وممارسات اسرائيل، السلطة القائمة بالاحتلال، التي تشكل انتهاكاً لحقوق الانسان للشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة ولا سيما قيام الجيش الاسرائيلي باطلاق النار مما اسفر عن قتل المدنيين الفلسطينيين والعزل واصابتهم بجراح.

«(٥) يؤكد الحاجة الملحة للتوصل تحت رعاية الامم المتحدة الى تسوية شاملة وعادلة ودائمة للنزاع العربي الاسرائيلي التي تمثل المشكلة الفلسطينية جزءاً لا يتجزأ منه ويعرب عن تصميمه على العمل لبلوغ هذه الغاية.

«(٦) يطلب الى الأمين العام ان يقدم تقارير دورية عن الحالة في الاراضي المحتلة بما في ذلك الجوانب المتصلة بالمساعي الرامية الى ضمان سلامة وحماية المدنيين الفلسطينيين الذين يعيشون في ظل الاحتلال الاسرائيلي.

«(٧) يقرر ابقاء الحالة في الاراضي الفلسطينية والاراضي العربية الاخرى التي تحتلها اسرائيل منذ العام ١٩٦٧، بما فيها القدس، قيد الاستعراض».

Digitized by Birzeit University Library

العـــام ١٩١٧

ابداع الجماهير الثوري*

فلاديمير بولداكوف
دكتور فلسفة في العلوم التاريخية

تحظى مهمة استيعاب المضمون الموضوعي لحركة شرائح الشغيلة كافة في روسيا المتعددة القوميات خلال العام ١٩١٧ باهتمام متعاظم لدى الباحثين السوفييت . وليس من شك في دوافع تطور وتعمق هذه النزعة . فقد تطلبت ثورة اكتوبر ، بحكم عامل ترسخها الظافر بحد ذاته ، كونها الحدث الحاسم في القرن العشرين الذي اتسم بانفجار الحركات الجماهيرية على اختلاف انواعها بشكل منقطع النظير ، الاجابة عن السؤال المتعلق بمضمون تطور البشرية الراهن واتجاهه ، وبالتالي وتائر هذا التطور.

وتكتسب المواضيع المتعلقة بابداع الجماهير المباشر في العام ١٩١٧ ، حاليا اي في اواخر القرن العشرين ليس مجرد اهمية سياسية فحسب ، بل ومغزى معرفيا وانثولوجيا . فهي تخرج الان عن اطر الجدل حول قانون الانتقال الى التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية الجديدة ، اي الاشتراكية ، ذلك ان اجماع الحركة في هذا الاتجاه لم يعد يثير الان شكا . ويحملنا واقع العالم المعاصر على امعان التفكير ايضا بقدرة الجماهير على مقاومة القوى الرجعية الساعية الى وقف مسيرة التقدم الاجتماعي .

الثورة والجماهير : مجادلات اليوم الراهن

ان استقطاب الاراء بشأن مسألة دور الجماهير في التاريخ عموما ، وفي الثورة بخاصة ، يعود وراثيا الى ذلك العصر الذي اكتسب الصراع الطبقي فيه صيغا متطورة وارتدى طابعا شاملا وهادفا منهجيا .وقد ذكر ماركس الذي نوه بدور البروليتاريا المركزي في نظام الانتاج الاجتماعي المعاصر وبدورها القيادي ازاء جمهور الشغيلة كافة".. ان ترسخ الفعل التاريخي سوف يقترن ايضا .. بنمو حجم الجمهور الذي يعتبر هذا الفعل قضيته"(١). على هذا النحو ، كان طرح مسألة الجماهير الشعبية كذات مستقلة للفعل الثوري في علم الاجتماع الماركسي يرتبط

* اكاديمية العلوم السوفييتية ، سلسلة التاريخ العالمي ، العلوم الاجتماعية والعصر ، دراسات سوفييتية ، هيئة تحرير القضايا الاجتماعية والعصر ، موسكو ١٩٨٧ .

Digitized by Birzeit University Library

منذ البداية بفكرة هيمنة البروليتاريا في الحركة التحررية . ولذا فمن المنطقي ان يكتسب النضال في روسيا من اجل تعامل ماركسي مع الجماهير ، باعتبارها الصانع الحقيقي للتاريخ ، حدة خاصة مع بدء مرحلته البروليتارية . وفي هذه الفترة بالذات عارض لينين بشدة علم الاجتماع الذاتي لدى الشعبيين الروس الذين كانوا يفضلون الكلام عن جمهور الشغيلة غير المتمايز "كموضوع لهذه او غيرها من الفعاليات المعقولة ، بهذا القدر او ذاك ، وكمادة تتطلب التوجيه نحو هذا الطريق او سواه" ، والذين كانوا يتهربون من تقويم مختلف طبقات السكان الكادحين ك "شخصيات تاريخية مستقلة"(٢). وقد انقلب هذا الضرب من الشك في استقلالية الجماهير الابداعية في وقت لاحق الى نزعة مغامرة يسارية زائفة لدى الثوريين الاشتراكيين تحولت بعد ثورة اكتوبر الى تذمر ضيق الافق بشأن طبيعة الانسان الاجتماعية "غير القابلة للتغير"(٣).

وكان التقويم اللينيني لامكانيات الجماهير الابداعية يرتبط باداء البروليتاريا لمهمتها التاريخية في التحويل الثوري. اذ تغدو البروليتاريا مركزا للحركة التحررية تتجمع حوله حركة الطبقات الاخرى ، التي "تقتفي اثر البروليتاريا، وتدار او تحدد من قبلها .. وترتهن بها"(٤) . ولكن حتى البروليتاريا ، التي تحمل في صلبها موضوعيا فكرة التقدم العالمي الشامل ، غير قادرة ذاتيا الا على ان تكون بشكل مستقل وعيا نقابيا. ولا يتمكن من ادخال الوعي الاشتراكي الى صفوفها الا حزب ثوري من طراز جديد (٥). وعلى الضد من ضيقي الافق في الحركة الاشتراكية الديموقراطية الذين كانوا يجاهرون بضرورة "التوعية الاشتراكية التمهيدية للبروليتاريا" ، دافع لينين حتى النهاية عن الرأي القائل ، بان افكار الاشتراكية العلمية تتغلغل باكبر قدر من التغلغل الطبيعي في وعي الجماهير الشعبية خلال عملية الصراع الطبقي المباشر.

ولكن من الخطأ اعتبار تعامل لينين مع الجماهير وكأنه منظومة محكمة احكاما صارما للتأثير الوحيد الاتجاه على طليعتها البروليتارية ، او كأنه بديل امثل للتحكم بها رغم ارادتها ، مثلما يدعي علماء الاجتماع الغربيون المعاصرون ، الذين يحاولون انطلاقا من ذلك ، نمذجة العملية الثورية في روسيا(٦) . كما ان الاقرار بضرورة ادخال الاسس القيادية على الجماهير من قبل الحزب الثوري المسلح بنظرية تقدمية ، والمعتمد على معرفة قوانين التطور الاجتماعي الموضوعية لم يكن يعني بتاتا الحط من قيمة الطابع العفوي للمبادرة الثورية الشعبية . اذ كان لينين يعترف بان الحركة العفوية عنصر لا بد منه في كل ثورة فعلية ودلالة على "عمقها في الجماهير وصلابة جذورها واستحالة زوالها"(٧) . علاوة على ذلك ، كما كتب لينين "ان الماركسية في هذا المضمار تتعلم من ممارسات الجماهير ، وهي بمنأى عن المطالبة بتعليم الجماهير اشكال الصراع التي ابتدعها "المصنفون "المكتبيون"(٨).

يسود المراجع والادبيات السوفييتية دون منازع رأي يعترف بالدور الحاسم للجماهير الشعبية في التاريخ . ويندر ان يصدر كتاب لا يحتوي على مضامين تتعلق بابداع الجماهير الثوري ، ناهيك عن الابحاث الخاصة التي تتناول هذا الموضوع(٩) . الى جانب ذلك من الخطأ الظن بان قضية الصلة المعاكسة التي شخصها لينين ، قضية استخدام الحزب الماركسي لتلك الاشكال من نضال الجماهير ،"التي تنشأ تلقائيا في سياق الحركة الثورية" (١٠) . قد حظيت بالبحث المطلوب خلال البحث في تفاعل الحزب الثوري والجماهير .

Digitized by Birzeit University Library

اما بشأن علم الاجتماع الغربي ، فلم تفقد مواقعها فيه حتى الان نظريات التقدم النخبوية التي تنكر قدرة الجماهير على ممارسة دور ذوات التاريخ الافعلة والواعية (١١) . ويعترف اشياعها في افضل الحالات بدور الجماهير "كمنفذين ثانويين للثورات ، يساعدون "النخبة" في الاستيلاء على السلطة(١٢) . وقبل عقد السبعينات كان يقوم على هذا الضرب من المناهج عمليا كل التدوين التاريخي البرجوازي والبرجوازي الصغير لثورة اكتوبر ، بحيث يحصر اهميتها في "انقلاب فوقي" نفذ خلافا لمصالح الجماهير.

في عقد السبعينات ترسخت في المراجع الغربية نزعة تبدو وكأنها نقيض ، ونقصد بذلك اتجاه "التأريخ الاجتماعي" الذي يستمد اصوله من "مدرسة الانال"(١٣) التي برزت في فرنسا خلال الثلاثينات. وتركزت جهود هذه المدرسة التي راحت تتطور نحو اليمين باضطراد على اثبات "عدم فاعلية" الانقلابات الثورية ، بادعاء انها عاجزة عن زعزعة القوالب القديمة للسلوك الاجتماعي والتوجهات القيمية"للطبقات الدنيا" من الشعب . ويعتبر هذا الضرب من الاستنتاجات اليوم ما يشبه الركيزة لايديولوجيا "اليمين الجديد" . وينبغي القول ان مباديء التأريخ الاجتماعي" ، بفضل ولائه لدراسة سيكولوجيا الجماهير ،قد حظيت بشعبية ايضا بين اوساط "اليسار الجديد"(١٤). وواضح ان واقع العالم المعاصر بحركاته الاجتماعية الجماهيرية لم يعد يسمح بحصر انشطة "الطبقات الدنيا"من الشعب خلال العام ١٩١٧ في "الفوضى" و"التمرد" . بيد ان "المؤرخين الاجتماعيين الذين ركزوا اهتمامهم لا على تحليل انشطة "النخب" ، بل على تحليل انشطة الجماهير والتصورات الشعبية عن الديموقراطية ، اخذوا يعارضون اليوم التدوين التاريخي "المسيس" لثورة اكتوبر (السوفييتي منه والاجنبي ، ولا سيما الامريكي). وتتكشف في موقفهم هذا خلال ذلك خصائص مميزة: ان يجري تناول مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية بصورة منعزلة ، وتلوح في بوضوح نزعات نحو "اتمتة" كيان المجتمع ، والجماهير الشعبية تعتبر نقيضا "للنخب" (وبالدرجة الاولى للبلاشفة) ، كما يجري تضخيم الدوافع الاقتصادية في انشطة الجماهير ، بينما يجري التقليل من مستوى وعيها السياسي.

ان ابحاث "المؤرخين الاجتماعيين" عن ثورة اكتوبر لم تحظ بعد بالتقويم المطلوب في التدوين التاريخي السوفييتي(١٥). وهذا يرتبط الى حد معين بالنقص في الدراسات التي تتناول التفاعل التصنيفي لطرق الابداع الشعبي مع النظرية الثورية ، تلك السبيكة الضرورية من الفكر والعمل الثوري التي يحكم من دونها على اي انقلاب اجتماعي بالهزيمة. ولهذا تثير اهتماما خاصا دراسة الاشكال التنظيمية للابداع الشعبي الثوري ككل متكامل في تناسبه المنطقي والتاريخي الملموس مع فكرة دكتاتورية البروليتاريا.

"الاستيلاء" على الحرية السياسية

تعميما لتجربة الثورة الاولى في روسيا (الاعوام ١٩٠٥ - ١٩٠٧) ، اظهر لينين ان الشعب اخذ يستخدم في ذروة نهوض هذه الثورة طرقا خاصة جدا وغير معروفة في الماضي من الابداع التاريخي : ك"استيلاء" الشعب على الحرية السياسية" ، وتشكيل "هيئات جديدة للسلطة الثورية"واستعمال "العنف ضد المتسلطين على مقدرات الشعب" (١٦). واصبحت سوفييتات نواب العمال في العام ١٩٠٥ الشكل الاسمى

Digitized by Birzeit University Library

للابداع الشعبي الثوري والتجسيد الرئيسي له من حيث كونها مؤسسات سلطة. واستطاع لينين ان يرى فيها برغم حكومة ثورية مؤقتة(١٧) ، اي شكل السلطة الشعبية الطبيعي غير التقليدي لاي ثورة ، الذي من شأنه ان يتحول في سياق تعمقه الى نظام دكتاتورية البروليتاريا.

في العام ١٩٠٥ جرى بجهود البروليتاريا في روسيا تشكيل ٥٥ سوفيتا ، كان ٤٤ بزعامة البلاشفة او خاضعة لتأثيرهم(١٨) . وفي اذار ١٩١٧ ظهر في عموم البلد ، على مدى شهر واحد بعد سقوط الحكم الاوتوقراطي ، زهاء ٦٠٠ سوفيت لنواب العمال والجنود والفلاحين (١٩) . ونمت ابعاد الابداع الشعبي نموا عملاقا. الى جانب ذلك ، تنازلت السوفيتات التي انبثقت بمبادرة الجماهير نفسها ، لا بمبادرة الاحزاب السياية اليسارية ، واصبحت هيئات للسلطة الشعبية لا يحد احد من نشاطها ، عن سلطة الدولة في البلد ، للحكومة البرجوازية المؤقتة . صحيح ان ابداع الجماهير السياسي قد جسد في صلبه كل التجسيد نزعة الجدوى الثورية ، الا انه لم يكن ينكر الطريق التقليدي بالنسبة لثورات الماضي الديموقراطية ، وهو طريق توطيد المنجزات الثورية عبر الجمعية التأسيسية التي تعقد عن طريق التصويت العام المباشر والتكافيء والسري. هكذا برزت ظاهرة ازدواجية السلطة التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ.

من الخطأ اعتبار التوازن المؤقت الذي نشأ بين القوى الطبقية مظهرا من مظاهر "ضعف" البروليتاريا في روسيا ، التي لا تشكل سوى ١٠٪ فقط من مجموع سكان البلد. ان ذلك كان في اغلب الظن نتيجة طبيعية لاقدامها على اشراك الشرائح غير البروليتارية من الشغيلة في الابداع الثوري ، وهو حالة تسم تماما عمليات العصر الثورية . فقد نوه لينين بان "الموجة البرجوازية الصغيرة العملاقة قد طغت على كل شيء ، واخمدت البروليتاريا الواعية ليس فقط بحكم كثرة العدد ، بل ومن الناحية الفكرية ، اي انها استحوذت على اوساط واسعة جدا من العمال واصابتهم بعدوى الاراء البرجوازية الصغيرة في السياسة"(٢٠) . وكانت المهمات الموضوعية لتطور الثورة الديموقراطية البرجوازية الى ثورة اشتراكية تتطلب مستوى جديدا نوعيا من الوعي السياسي والنشاط التنظيمي ، ووحدة صفوف البروليتاريا ، في حين كانت الظروف اللازمةلذلك غير ملائمة بتاتا بالنسبة للطبقة العاملة .

وكان بضع عشرات من الاحزاب السياسية في روسيا ابتداء من الليبراليين وحتى الاشتراكيين المعتدلين تدعو الى السلام الطبقي من اجل الانتصار في الحرب المستمرة ، عن طريق استغلال اندفاع الجماهير "الوطني". في حين لم يتمكن البلاشفة ، وهم الحزب الوحيد من احزاب الاممية الثانية الذي كان يدافع بثبات عن شعار تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية ، وهو الشعار القديم الذي تنكر له زعماؤها الانتهازيون ، من وضع استراتيجية وتكتيك واضحين وثابتين للنضال في الظروف الجديدة الا في اواخر شهر نيسان اي بعد عودة لينين من المهجر. على ان البروليتايا ، متمثلة في شخص اكثر فصائلها تنظيما ، افلحت بسرعة فائقة في تحقيق مطالبها الاقتصادية الاساسية(٨ ساعات عمل في اليوم ، رفع الاجور ، اشاعة الديموقراطية في الانتاج)، وراحت تتمتع بحريات سياسية لا مثيل لها في العالم . واقتضى الامر من البروليتاريا في روسيا جهودا بطولية حقا من اجل الارتقاء الى مستوى المهام العملاقة التي فرضها عليها التاريخ ، وهي مهام الخروج على اطر النظام الاقتصادي الاجتماعي القديم.

وكان ثمة خطر فعلي من ان يتعذر على السوفيتات ان تصبح مركزا لتعمق العملية

Digitized by Birzeit University Library

الثورية ، نظرا لكون مواقع السيطرة فيها - بخلاف العام ١٩٠٥ - كانت من نصيب الاشتراكيين المعتدلين ، الذين افادوا من تجربة العمل في "اللجان الصناعية العسكرية" ، التي نظمتها البرجوازية خلال سني الحرب ، كذلك في الشبكة الواسعة من التعاونيات الاستهلاكية . بيد ان امالهم في ان تتمكن هيئات "الديموقراطية التمثيلية" بالتدريج من ازاحة السوفيتات كهيئات للسلطة الشعبية المباشرة كانت باطلة. فقد اخذت السوفيتات تؤثر في كل مكان تأثيرا هائلا في تشكيل الهيئات الديموقراطية للادارة الذاتية المحلية ، وشلت نظام الادارة "من الاعلى" الذي فرضته البرجوازية ، وقدمت الحوافز للشرائح غير البروليتارية من الشغيلة على تنظيم نفسها اجتماعيا ونمت - في التحصيل الاخير - الى شبكة متفرعة من الهيئات المحلية والمركزية ، الدنيا والعليا التي تدافع عن مصالح مختلف شرائح الشغيلة . وكان المصدر الاساسي لقوة السوفيتات ورسوخ مواقعها هو انها كانت تعتمد على التنظيمات الطبقية للبروليتاريا.

وتمثلت الظاهرة الجديدة لتلاحم البروليتاريا الطبقي في العام ١٩١٧ في انبثاق لجان المصانع والمعامل التي كانت مهمتها الدفاع عن مصالح العمال في المصانع والمعامل مباشرة . وكان ثمة نوع من التوارث بين اللجان العمالية ولجان الاضرابات في الاعوام ١٩٠٥ - ١٩٠٧ ولجان المصانع والمعامل في العام ١٩١٧ ، بيد ان هذه الاخيرة كانت تعكس من حيث المبدأ العمق الجديد نوعيا للنشاط الاجتماعي الذي تمارسه الجماهير البروليتارية . وافصحت لجان المصانع والمعامل عن نفسها كمنظمات دائمة تعالج شؤون مختلف جوانب حياة العمال في المؤسسة المعنية. ولا ينبغي تقويم هذه الظاهرة في اطار الخصوصية الروسية فحسب ، ففي سني الحرب العالمية الاولى ، لوحظ شيء مماثل ايضا في سياق نضال بروليتاريا اوروبا الغربية على سبيل المثال ، كان لينين يثمن عاليا حركة وكلاء المتاجر الانجليز ضد البيروقراطية النقابية (٢١) . واخيرا ، تجري في الغرب على نطاق واسع خلال الاونة الاخيرة مناقشة المعضلات المتعلقة بمشاركة العمال في ادارة المؤسسات الرأسمالية(٢٢).

في مجرى العقدين الاخيرين يبدي المؤلفون الغربيون اهتماما شديدا بلجان المصانع والمعامل وبالرقابة العمالية ، ليشيدوا عليها بالذات ابحاثهم في مجال السيكولوجيا الاجتماعية للجماهير البروليتارية في العام ١٩١٧ .وفي عقدي الستينات والسبعينات راح المؤلفون ، ادعياء الميول اليسارية ، يصفون هذه التنظيمات بعناد بانها تجسيد فوضوي سنديكالي للثورة الديموقراطية "الحقة" التي يدعون انها تقف في وجه الثورة "البلشفية"(٢٣). وفي عقدي السبعينات والثمانينات تخلى "المؤرخون الاجتماعيون" ذوو الميول الموضوعية عن التفسير الفوضوي السنديكالي لنشاط لجان المصانع والمعامل ، واقروا كونها النموذج الاكثر شيوعا بالنسبة للعام ١٩١٧ فيما يتعلق بالتنظيم الذاتي للعمال باعتبار انها كانت تؤدي في الاغلب وظائف دفاعية (حماية المنجزات الاقتصادية ، مكافحة البطالة ووقف الانتاج ، وما الى ذلك) ضمن اطر النظام القائم (٢٤) . وفي كل الحالات يركز "المؤرخون الاجتماعيون" على تبيان الانشطار بين وعي العمال "الورش" في اغلبه وبين ايديولوجيا "النخب" الحزبية الراديكالية (بما فيها البلاشفة) ، بين لجان المصانع والمعامل وبين النقابات ، بين انشطة البروليتاريا ومجمل جمهور الشغيلة . واغلب الظن ان هذه الاطروحة تعكس الصعاب الداخلية التي يعانيها علم الاجتماع الغربي ، بما فيه

Digitized by Birzeit University Library

اليساري الراديكالي الذي الفى نفسه عاجزا على الصعيد المنطقي الشكلي عن تبيان تفاعل "الحالات النفسية" المتأزمة لدى الجماهير ومجال "الافكار المحضة"(٢٥). ومن المناسب ان نلفت الانتباه الى ان الازدياد الحاد لاهتمام المؤلفين الغربيين بعملية التنظيم الذاتي للبروليتاريا في روسيا على صعيد المؤسسة جاء مواكبا من حيث التوقيت للاحداث في بولندا . ولذا لا داعي للاندهاش من ان بعض الكتاب ادعياء الميول اليسارية يبلغ بهم الامر الى درجة التحدث خلال ذلك عن التعارض المباشر بين "الثورة الديموقراطية للبروليتاريا في روسيا" وبين "الثورة المضادة" البلشفية(٢٦) .

وكيف كان الدور الفعلي للجان المصانع والمعامل في احداث العام ١٩١٧.

لقد انبثقت لجان المصانع والمعامل نتيجة للمبادرة الجماعية "من القاعدة" بغية توحيد صفوف فرق العمال في المؤسسات المتفرقة. وراحت في باديء الامر تعمل على ابعاد الادارات الرجعية ، ثم اخذت على اثر ذلك تتدخل في كل جوانب الحياة الداخلية للمؤسسات ، وصولا الى فرض الرقابة على قبول وفصل العمال والمستخدمين ، وفرض الرقابة العمالية على الانتاج وتوزيع المنتوج وتجهيز الخامات والوقود والنشاط المالي (٢٧) . ولعبت لجان المصانع والمعامل دورا حاسما في تنظيم الميلشيا العمالية ، ومن ثم الحرس الاحمر . ومما له دلالته ان لجان المصانع والمعامل قد برزت بالدرجة الاولى في المؤسسات الكبرى للصناعة التحويلية ، ومن بعد ذلك ظهرت في الفروع الاخرى ، وفي نهاية المطاف انتظمت على صعيد روسيا العام ، في منظومة تشمل معظم المؤسسات لا الكبيرة والمتوسطة فحسب ، بل والصغيرة ايضا .

وعلى الرغم من ميل المؤلفين الغربيين الى تصوير نشاط فرق العمال وكانه حنين الى "الانعزالية الانتاجية"البعيدة عن السياسة (٢٨)، تدل احدث ابحاث المؤرخين السوفييت على ان لجان المصانع والمعامل لم تكن تعارض بتاتا التنظيم المهني للعمال على صعيد روسيا العام ، بيد ان مجال نشاطها المباشر كان يمتد من مكافحة ظاهرة الافراط في تعاطي الكحول ومعالجة المسائل الغذائية ، حتى المساهمة في الحملات السياسية والتحضير للانتفاضة المسلحة ، علما بان نسبة الاعمال السياسية تنامت باطراد خلال الفترة من ثورة شباط حتى ثورة اكتوبر (٢٩) . ومما له دلالته ان المواقع الرائدة في منظومة لجان المصانع والمعامل لعموم روسيا كانت من نصيب عمال التعدين في المؤسسات الكبرى التي كانت تشكل نواة الانتاج العصري . وبعد ان شكلت البروليتاريا الهيكل العظمي "لمجموعات العمال" داخل السوفيتات اخذت بمساعدة هذه المجموعات تمارس بنشاط التعاون مع باقي فصائل الشغيلة على جميع المستويات ابتداء من مستوى المصنع (اي مع المستخدمين) وحتى صعيد روسيا العام (مع الجنود والفلاحين) . واصبحت لجان المصانع والمعامل الموحدة على صعيد روسيا العام المركز الحقيقي للثورة البروليتاريا التي انجذبت اليها باطراد اوساط واسعة من الجماهير الشعبية عبر شبكة المنظمات الجماهيرية الاخرى المرتبطة بلجان المصانع والمعامل.

كان البلاشفة قد حصلوا على مواقع النفوذ في لجان المصانع والمعامل قبل غيرها من منظمات الشغيلة الجماهيرية بوقت طويل . رغم ذلك ، ينكر حتى اولئك "المؤرخون الاجتماعيون" الذين يقرون بالنمو المطرد لوعي العمال السياسي في العام ١٩١٧ ، الطابع الاشتراكي لهذا الوعي ، او انهم يرون في اقل تقدير - انه لا يتناسب مع الاهداف السياسية للبلشفية (٣٠) وفي هذا الصدد

Digitized by Birzeit University Library

تحمل الكثير من الدلالات اعترافات بعض المؤلفين الغربيين بان مثل هذه التصورات قد املاها في اغلب الظن - الواقع الراهن للبلدان الرأسمالية ، اكثر من النشاطات الملموسة لعمال روسيا في سنة ١٩١٧ ، عندما كانوا يزاولون نشاطهم في ظروف تلغى امكانية التقهقر (٣١) . وبوجه عام الفى المؤرخون الاجتماعيون انفسهم عاجزين عن اكتشاف الصلة القائمة فعليا بين نشاط البروليتاريا العملاق واختيارها الواعي لصف الثورة الاشتراكية .

ومن حيث المبدأ ، كما اشار لينين ، لم يكن بمقدور الرقابة العمالية ، باعتبارها جزءا من عملية الجتمعة ضمن اطر النظام الرأسمالي ، سوى ان تحمل طابع الخطوات التمهيدية نحو الاشتراكية (٣٢) . لقد دفع مجمل مسير الصراع الطبقي على المصالح الحيوية المباشرة العمال الى فهم هذه الحقيقة بالذات . وقد اوضحت لجنة مصنع بوتيلوف في بتروغراد ، وهو من اكبر المصانع في البلد ، ما يلي : "ان العمال ، اذ يتعودون على ممارسة الادارة الذاتية في بعض المؤسسات ، انما يستعدون الى الوقت الذي تلغى فيه الملكية الخاصة في المعامل والمصانع وتنتقل ادوات الانتاج مع المباني التي شيدت بسواعد العمال الى يد الطبقة العاملة(٣٢). وكان البلاشفة ، بخلاف خصومهم البرجوازيين الصغار الذين يحيطون احاطة حقيقية بنفسية الجماهير ، على قناعة من ان الرقابة العمالية المتنامية من القاعدة سوف تسفر مستقبلا عن انعطاف حازم نحو ادراك الجماهير الثابت لضرورة دكتاتورية البروليتاريا.

ان نشاط الجماهير البروليتارية الابداعي الواسع للغاية والرامي الى تعزيز منجزاتها الديموقراطية العامة في مجال الانتاج الاجتماعي ، لم يكن يعني موقفا سلبيا من الشكل "التقليدي" للتنظيم الذاتي ، وهو البناء النقابي .

ففي غضون الشهرين الذين اعقبا الاطاحة بالحكم الاوتوقراطي في البلد جرى تشكيل زهاء الفي اتحاد نقابي ضمت في شهر حزيران ١٩١٧ زهاء ٥ر١ مليون شخص ، نما عددهم في مطلع العام ١٩١٨ الى ٢ر٢ مليون (٣٤) . الى جانب ذلك ، ينبغي القول ان اكبر قدر من النشاط في تشكيل النقابات قد ابداه في باديء الامر ، ليس العمال بل المستخدمون (٣٥) ولم تبرز اكبر الاتحادات النقابية لعمال التعدين والنسيج الا بالتدريج ، متخطية النزعة الورشية التي ترافق حتما التصاعد الحاد في نشاط الحركة النقابية . ومما له دلالته ان انشط لجان المصانع والمعامل في المؤسسات الكبيرة هي التي دفعت العمال الى الانتماء الى نقابات الفروع الصناعية. ولا تقل عن ذلك اهمية حقيقة ان مواقع البلاشفة كانت اقوى من سواها في اكبر الاتحادات النقابية لتلك الفروع الصناعية التي كانت تشغل مركز الصدارة في نظام الانتاج الاجتماعي.

وفي التحصيل الاخير ، اوجدت بروليتاريا روسيا في شخص السوفيتات ولجان المصانع والمعامل والنقابات تلك الشبكة المحكمة القوام للتنظيم الطبقي "عموديا" و "افقيا" التي شلت النزعات التريديونينية لدى الاشتراكيين المعتدلين نحو "التعامل الاجتماعي" مع البرجوازية . وقد اسفر ذلك عن توفر فرص اضافية لاحداث تطويرات نوعية ليس فقط في نفسية ووعي العمال الطليعيين ، بل وسائر الجمهور البروليتاري . وفتحت سبل جديدة لتوطيد هيمنة الطبقة العاملة ازاء شرائح الشغيلة غير البروليتارية.

تعتبر الموضوعة اللينينية حول الترابط التصنيفي لابداع جماهير الشغيلة التاريخي ، على اختلاف طبقاتها ، وحول نشوء تحالف بروليتاريي المدينة والريف ، حقيقة قاطعة بالنسبة للتدوين التاريخي السوفييتي لثورة

Digitized by Birzeit University Library

اكتوبر . وعلى الضد من ذلك ، ان اكثر ما يتسم به التدوين التاريخي البرجوازي المعاصر هو التصورات عن تنامي انعزال الثورات "المتواكبة" - ثورة العمال ، ثورة الجنود ، ثورة الفلاحين ، الثورات الوطنية(٣٦) . علاوة على ذلك ، يتسم "المؤرخون الاجتماعيون" المتخصصون بدراسة حركة الفلاحين وجماهير الجنود بتضخيم دور اما هذه واما تلك ، باعتبارها القوة الحاسمة في انتصار ثورة اكتوبر ، وحصر ابداع الجماهير الثوري خلال العام ١٩١٧ في سلسلة من النزاعات غير المتجانسة والمنعزلة بعضها عن بعض.

نحو هدف واحد

في العام ١٩١٧ لم تكن البروليتاريا هي وحدها التي اكتشفت ارفع مستوى للتنظيم . فحالات التأزم على الصعيد الوطني العام لا بد وان تثير مفعول قوى "الانقاذ" والتحكم الذاتي داخل جسم المجتمع. كما ان التدفقات الباطنية للطاقة الاجتماعية حتى من قبل اكثر شرائح الشغيلة تخلفا لا تكتسب البتة طابع "الفوضى". وهذا ما تؤكدهباكير قدر انشطة الفلاحين الذين كانوا يشكلون ثلاثة ارباع سكان روسيا ، فيما يتعلق باحداث العام ١٩١٧.

ان انتشار الثورة الزراعية الواسعة النطاق ادى الى ظهور قرابة ٥٠ الف تنظيم فلاحي على مختلف المستويات . وتمثل اساس هذه التنظيمات في اللجان الفلاحية الذاتية التكوين على صعيد الوحدة الادارية الصغرى - القصبة (فولوست) - التي كانت تعتمد بدورها على التجمعات الفلاحية التقليدية . وعلى الرغم من سعي زعماء الاحزاب "الفلاحية" للاشتراكيين الثوريين والاشتراكيين الشعبيين الى قيادة جماهير الفلاحين "من الاعلى" في سبيل تطبيق احتكار القمح واصلاح العلاقات الزراعية الذي اقرت تطبيقه الحكومة المؤقتة ، تبلورت بمزيد من الوضوح نزعة نحو تنظيم جماهير الفلاحين "من القاعدة" على صعيد روسيا العام.

وتبين ابحاث المؤرخين السوفييت الاساسية ان النشاط التنظيمي العالي لجماهير الفلاحين كان مرتهنا بحدة صراعها الطبقي ضد الملاكين العقاريين والبرجوازية الريفية (الكولاك)(٣٧) . وبطبيعة الحال كانت الحركة الفلاحية ، مقارنة بحركة البروليتاريا ، تمتاز بالطابع العفوي والانعزال الاقليمي وعدم النضوج السياسي. رغم ذلك شهد خريف العام ١٩١٧ تبلور الحرب الفلاحية ضد الملاكين العقاريين على الصعيد الوطني العام (٣٨). وبموازاة ذلك طرأ تطور ايضا على "الحرب الاجتماعية الثانية". وهي نضال الفلاحين المعدمين ضد الكولاك(٣٩) . وقد كشف المؤرخون الماركسيون بشكل مستفيض عن صلة الحركة الفلاحية بالصراع الطبقي للبروليتاريا ، وشخصوا اقنية تأثير الطبقة العاملة التنظيمي والسياسي العام على كادحي الريف. وجرى هذا التأثير بخط مباشر (عبر السوفيتات والروابط عن طريق ارسال عناصر التحريض (التوجيه) وكذلك العاطلين العائدين الى الريف) وبخط غير مباشر (عبر الجنود الذين الغوا انفسهم في الريف لهذه او تلك من الاسباب) . وتبلورت نزعة نحو اندماج سوفيتات العمال والجنود والفلاحين . وجرى نمو مطرد للوعي السياسي لدى الفلاحين الذين ادركوا جوهر شعارات حزب البلاشفة ، وبالدرجة الاولى ما يتعلق منها بسبل تحويل الارض الى ملك للشعب باسره - عبر الطرائق البروليتارية للابداع الثوري.

واذ يعترف المؤرخون البرجوازيون بوجود الحركة الفلاحية المنظمة ، انما يربطون اتساعها بتصاعد نشاط المؤسسة التقليدية للمشاعيات

Digitized by Birzeit University Library

الفلاحية الروسية . ويعمدون التقليل من ابعاد الحركة المناهضة للملاكين العقاريين ، عن طريق اعتبارها اما حركة اقتصادية محضة يمليها بالكامل الطابع الموسمي للاعمال الزراعية ، واما موجة من اعمال الاستباحة الفوضوية . اما بشأن الوعي لدى الفلاحين ، فهم يخفضونه عن قصد الى مستوى الطوباوية القديمة بخصوص "اعادة التقسيم السوداء" للارض في صالح من يزرعها . كماانهم ينكرون نكرانا كاملا "الحرب الاجتماعية الثانية" ، ذلك ان فئة الفلاحين ، في تصورجزء من المؤرخين الغربيين المعاصرين ، هي عبارة عن جمهور جاهل منغلق ومتجانس اجتماعيا يعارض بالدرجة الاولى احتكار القمح من منطلقات محافظة (متزمتة) لا من منطلقات ثورية ديموقراطية(٤٠).

ويرى المؤرخون ذوو النزعة المحافظة الجديدة ان مصير الثورة لم يقرره النشاط المشترك للبروليتاريا والفلاحين المعدمين ، بل مجرد عدم رغبة الفلاحين في بيع القمح باسعار ثابتة ، مما اسفر عن جوع و "تمرد" العمال والجنود في المدن ، الامر الذي سارع البلاشفة الى استغلاله. ويلوح من هذا الرأي بوضوح تضخيم الطراز "الشاعي" من وعي الفلاحين الاجتماعي بغية اعتباره نقيضا للوعي "المدني" لا لاجل تزييف مضمون ومغزى ثورة اكتوبر فحسب ، بل ولاجل احداث صدام سياسي بين مختلف تيارات العملية الثورية العالمية المعاصرة .

فما هو مدى تأثير التقاليد المشاعية على الثورة الزراعية في العام ١٩١٧؟ ان هذا السؤال مهم جدا بالنسبة لتحليل الحركات المعاصرة ذات الطابع الجماهيري او الشعبي في الاقطار النامية (٤١) . وقد خلص المؤرخون السوفييت الى ان الطابع المشاعي لفلاحة الارض لم يتمكن من عرقلة تمايز الفلاحين الاجتماعي المتعاظم تبعا للتقسيم الطبقي الاساسي للمجتمع الرأسمالي . ان "السيكولوجيا المشاعية" لم تعرقل نمو الوعي السياسي . والمشاعة لم تكن نقيضا لكيان الدولة ، ايا كان هذا الكيان ، بل بالعكس ، ان هذا الاخير كان بامكانه ان ينتفع منها . ولا يجوز حصر تشخيص المشاعة في مصطلحات الفردية الخفية او الجماعية المستقرة . وبوجه عام ، فان المشاعة لم "تلغ" الصراع الطبقي في الريف ، مثلما يحاول تصوير ذلك المؤرخون وعلماء الاجتماع البرجوازيون ، بل اضفت عليه فقط صيغة خارجية خاصة (٤٢) . ومما له دلالته ان بعض "المؤرخين الاجتماعيين" يتفقون جزئيا مع هذا الاستنتاج الاساسي (٤٣).

لقد اكتسب نشاط الفلاحين التنظيمي في العام ١٩١٧ صيغا متنوعة جدا تبعا لاتجاه مصالحهم المباشرة. فقد رد كادحو الريف على محاولات الاشتراكيين الثوريين والاشتراكيين الشعبيين المشاركين في الائتلاف الحكومي ، الرامية الى شمول البلد بمنظومة متعددة المراتب من لجان الغذاء والاراضي في سبيل حل المشكلة الغذائية ومسائل استثمار الاراضي لصالح السيطرة البرجوازية حلا لا يسبب لهم الاذى، وعلى يد الفلاحين انفسهم ، ردوا بالاستيلاء الكامل على قواعد هذه اللجان وبهذا نسفوا بكل معنى الكلمة هذه المنظومة البيروقراطية للاحتفاظ بالاوضاع القديمة . وجاءت المبادرة الفلاحية "من القاعدة" مواكبة عضويا للمجرى العام للعملية الثورية في عموم روسيا ، علاوة على ذلك، مارس العمال دورا فعالا جدا في الثورة الزراعية ، بما في ذلك في تشكيل فصائل الحرس الاحمر الريفي . وقد استنتج لينين في العام ١٩١٧ ان "من الصعب تصور ان تكون البروليتاريا في بلد رأسمالي على هذا القدر الضئيل من العزلة عن البرجوازية الصغيرة ، مثلما هي عليه الان حالة البروليتاريا في روسيا"(٤٤).

Digitized by Birzeit University Library

وبتأثير من الطبقة العاملة نشطت حركة الفلاحين من اجل نقل اراضي الملاكين العقاريين بصورة منظمة الى حيازة لجان الاراضي . وهذه الحركة هي التي اباحت القول بان الانتفاضة الفلاحية اصبحت من اكبر حقائق الواقع الروسي في خريف العام ١٩١٧. وكان ذلك على حد تعبير لينين :- "انتقال موضوعي تجلى بالافعال لا بالاقوال الى جانب البلاشفة" (٤٥) . وفي وقت لاحق كتب لينين ان سير احداث العام ١٩١٧ قد اثبت بمجمله صواب التكتيك البلشفي."في البداية مع "جميع" الفلاحين ضد الحكم الملكي ، ضد الملاكين الاقطاعيين ، ضد اوضاع القرون الوسطى (وبالنظر لكون الثورة لا تزال برجوازية ، ديموقراطية برجوازية). بعد ذلك مع الفلاحين المعدمين ، مع شبه البروليتاريا، مع المستغلين كافة ، ضد الرأسمالية ، ومن ضمن ذلك ضد اغنياء الريف والكولاك والمضاربين ، وبالنظر لكون الثورة تغدو اشتراكية"(٤٦).

عند تشخيص النزعات الرائدة في التنظيم الطبقي للفلاحين خلال العام ١٩١٧ ، ينبغي التنويه بناحية اخرى هي ان نمط التنظيم السائد بشكل مطلق في الجيش الذي هو نسخة مصغرة لمجتمع روسيا الذي كان يتسم باكثرية برجوازية صغيرة في عدد السكان ، وعلى الرغم من وجود لجان فلاحية خاصة ، قد تمثل في لجان الجنود التي تضم الفلاحين السابقين وعمال الامس.

لقد ابدت جماهير الجنود في الجيش العامل وفي المؤخرة على السواء نشاطا تنظيميا مدهشا. وحسبنا القول انها تفوقت عدديا بعد ثورة شباط على العمال في بنية سوفيت بتروغراد ، حتى انها كثيرا ما كانت تضطلع في مراكز الاقضية والمدن الصغيرة بتشكيل السوفيتات. وكانت الغلبة في بنية لجان الجنود باديء ذي بدء لابناء الانتلجنسيا الديموقراطية في المدن (٤٧). وتبعا لذلك كانت اللجان تتخذ مواقف دفاعية ، وتركز جهودها على مهام اشاعة الديموقراطية في حياة الجيش الداخلية . وفي خريف العام ١٩١٧ حدث انعطاف مذهل في امزجة جماهير الجنود : فقد اصبحت الغلبة لمطلب الوقف الفوري للحرب الامبريالية ، وتبعا لذلك اتسع نطاق تبلشف اللجان (اي اعتناقها للبلشفية)(٤٨) . واكتسب استقطاب القوى في الاسطول طابعا اكثر حدة ، مما حدا بلينين الى القول بان "الاسطول ضد الحكومة"(٤٩) . وكان يعتبر هذه الظواهر عنصرا بالغ الخطورة في الازمة الوطنية العامة. وعلى العكس من ذلك ،يميل، "المؤرخون الاجتماعيون" الذين اخذوا يعيرون الجيش والاسطول خلال السنوات الاخيرة مزيدا من الاهتمام الى التقليل من حجم المهام السياسية وابعاد حركة جماهير الجنود والبحار (مثلما هي حالهم مع البروليتاريا والفلاحين(. وهم يصرون في الوقت ذاته على ان الجيش الذي افلت من سيطرة الحكومة هو الذي قرر مصير ثورة اكتوبر . وواضح ان تطور العملية الثورية لا يمكن ان يفهم على صعيد علاقات العلة والمعلول والنماذج السلوكية لتصرفات الجماهير. وقد اكد لينين بعد انتصار ثورة اكتوبر ، منوها بان الجيش كان في اكتوبر - نوفمبر(تشرين الاول - تشرين الثاني) قد اصبح "نصفه بلشفيا" ، ان اكبر قدر من نشاط الجنود الثوري قد لوحظ "على الجبهات الاقرب الى العاصمتين"(٥٠)، اي انه ادرج الحركة في الجيش في سياق الخط العام لتطور الثورة البروليتارية.

ان المسألة الاكثر تعقيدا والاشد حدة من الناحية السياسية عند تحليل تفاعل مختلف تيارات العملية الثورية هي مسألة الطابع الطبقي لحركة شعوب روسيا الوطنية التحررية

Digitized by Birzeit University Library

واهدافها . فقد دأب المؤرخون البرجوازيون طوال عشرات السنين ، مقتفين اثر القوميين المتعصبين الذين منيوا بالافلاس على الادعاء بلا كلل بان الشعوب غير الروسية قد تطورت لديها "ثوراتها القومية" الخاصة التي لا تمت بصلة الى الثورة "الروسية" . وظلت مثل هذه الادعاءات تعزز ردحا طويلا من الزمن باسانيد نظرية عامة مفادها ان كل حركة لامة غير كاملة الحقوق تتطور ضمن اطر الايديولوجيا القومية وتضع نيل الاستقلال الوطني هدفا لها . وفي عقد السبعينات ازيحت هذه الحجة من اساسها على يد باحثي ما يسمى بالمذهب "القومي العرقي". فعن طريق تحليل السيكولوجيا القومية على صعيد الوسط الاجتماعي المصغر ، خلصوا الى ان القوة التكاملية للاقتصاد العالمي المعاصر قد زعزعت اسس الايمان بان الدولة القومية هي اسمى قيمة للفكر القومي. رغم ذلك يواصل المهتمون بالشؤون السوفييتية تزييف تاريخ الحركة الوطنية التحررية لشعوب روسيا ، متمسكين بالطروحات القديمة البالية.

لقد كان الواقع الثوري اكثر تعقيدا ، اذ كان التوجه الاممي الموضوعي يلمس من الانشطة الملموسة لشعوب روسيا . اما ان ينال وعي جمهورها البرجوازي الصغير بوصلة مضللة بفعل ديماغوجية القوميين الاجتماعية ، فتلك قضية اخرى. وهذه الديماغوجية تتمثل بالملموس في وعودهم بشأن الحل الجذري العاجل للمسألة الزراعية عن طريق تشكيل رصيد "قومي" للاراضي . تلك الوعود التي تسنى لهم بها احراز تعاطف الجماهير الفلاحية معهم سياسيا.

ولم تكن الحركات الوطنية التحررية لشعوب روسيا موحدة من الناحية السياسية الطبقية. فمع تعمق العملية الثورية اخذت تتجلى فيها بمزيد من الوضوح اتجاهات ديموقراطية ثورية وقومية ، علما بان هذه الاخيرة كانت في احيان كثيرة تشكل قشرة للاولى . وقد اعطى لينين تقويما لهذه العمليات من زاوية التذبذبات الطبيعية للجماهير البرجوازية الصغيرة وشدد على ان البروليتاريا الاممية هي وحدها القادرة عن طريق تقديم التنازلات في المسألة القومية مساعدة "جماهير الشغيلة غير البروليتارية على ان تتخلص بنفسها من هذه التذبذبات من خلال تجربتها الذاتية"(٥١) ومهما يكن من امر فقد زعزعت الحركات الوطنية التحررية باطراد صرح كيان الدولة البرجوازي في روسيا ، ميسرة على البروليتاريا الاممية في البلد اداء مهمتها الاساسية.

وقد ساعد الفهم الواضح لافاق العملية الثورية العالمية حزب البروليتاريا في روسيا على بناء استراتيجيته وتكتيكه بمراعاة خصائص النشاط الابداعي لشغيلة المناطق القومية . ولم تكن حدة التناقضات داخل مختلف حركات التحرر الوطني متماثلة. وكقاعدة . كان نجاح البلاشفة اكبر شأنا حيثما كان تطور الرأسمالية اعلى ، وحينما كانت التناحرات الطبقية بين البروليتاريا والبرجوازية ، بين الفلاحين المعدمين والملاكين العقاريين اكثر ضراوة ، مثلا في لاتفياواستونيا وبيلوروسيا(٥٢).

تخمر الازمة

لقد تطور النشاط الابداعي لجماهير الشغيلة في روسيا تطورا متقافزا، تبعا للازمات السياسية العامة . وكان النهوض الحاد لهذا النشاط يرتبط في اواخر الصيف بالخطر الفعلي للانقلاب المضاد للثورة . وقد تمثل المؤشر الموضوعي لحقيقة ان حركة التحرر الوطني قد اصبحت في مطلع خريف العام ١٩١٧ ابرز واهم عنصر في الازمة الوطنية العامة ، في نتائج التصويت داخل ما

Digitized by Birzeit University Library

يسمى بالاجتماع الديموقراطي الذي عقده الاشتراكيون البرجوازيون الصغار في محاولة عابثة منهم لتفادي الصدام الطبقي الحازم بين البروليتاريا والبرجوازية . فقد عارض ٥٠ من مجموع٥٥ ممثلا لمرتبة الناخبين الوطنية ضد الائتلاف مع البرجوازية .وتحمل الكثير من الدلالات الملاحظة التالية التي ادلى بها لينين :ان مرتبة الناخبين الوطنية "تنتقل من حيث مستوى الراديكالية الى المقام الثاني ، متراجعة امام الاتحادات المهنية فقط ومتغلبة على مرتبة ناخبي السوفيتات.." ويغدو واضحا للعيان تطابق المهام القريبة لحركة التحرر الوطني والمهام الطبقية للبروليتاريا الاممية ، ذلك ان "البرجوازية قد خانت بسفالة قضية حرية الامم المضطهدة ، في حين تبقى البروليتاريا وفية لقضية الحرية" (٥٣) . وكان الحديث يدور حتى الان حول الثقة بالبروليتاريا ، النابعة من غياب الثقة بالبرجوازية . وفي هذا المجال ايضا كانت اغلبية الشعب مع البروليتاريا. وقد ذكر لينين ان البروليتاريا هي وحدها القادرة فيما يتعلق بالمسألتين الزراعية والقومية ، وهما اكثر المسائل حدة بالنسبة لاغلبية السكان البرجوازية الصغيرة على تطبيق سياسة حازمة من شأنها "ان تؤمن على الفور لسلطة الدولة البروليتارية ليس فقط دعم اغلبية السكان ، بل وانفجارا حقيقيا للروح الحماسية لدى الجماهير .."(٥٤). وكانت البروليتاريا كزعيمة للعملية الثورية - تحمل في صلبها البادرة الابداعية الواعية ، مما اتاح لها ايقاظ النشاط الابداعي لدى اكثرية جماهير الشعب.

وتمثلت ذروة الجهود الابداعية للبروليتارية ، الرامية الى الاستيلاء على كامل السلطة في انتفاضة اكتوبر المسلحة في بتروغراد واستيلاء السوفيتات بسرعة على السلطة في جميع ارجاء البلد. وحتى ذلك الحين كانت "الحرب قد احدثت ازمة واسعة النطاق واستجمعت طاقات الشعب المادية والمعنوية ، وانزلت ضربات بكل التنظيم الاجتماعي المعاصر ، الى درجة جعلت البشرية امام خيارين : اما الهلاك واما تسليم مقاديرها في يد الطبقة الاكثر ثورية في سبيل الانتقال الجذري باسرع ما يمكن الى طريقة ارفع للانتاج(٥٥) . وحتى ذلك الوقت كان استعداد البروليتاريا السياسي والتنظيمي للعمل الحاسم قد بلغ المستوى المطلوب لاستلام السلطة . وطالب لينين ، باعتباره المخطط الحقيقي لاستراتيجية الثورة ، بالتعامل مع الانتفاضة الوشيكة الوقوع كالتعامل مع الفن الامر الذي كان يفترض مراعاة القوى العسكرية فحسب ، بل والاشكال التنظيمية لتنفيذ الانتفاضة . وكان جهاز الانتفاضة ، في رأي لينين ، قد تكون. انها السوفيتات والمنظمات الديموقراطية التي شكلها الشعب (٥٦).

الى جانب ذلك ، كان على هذا الجهاز بعد استيلاء البروليتاريا على السلطة ان يؤدي مهمات مغايرة . وكانت مزاياه كجهاز جديد نوعيا للسلطة والادارة واضحة للعيان. فقد كان يجسد القوةالمسلحة للعمال والفلاحين ويؤمن الوحدة مع الجماهير وبحكم تجدده المستمر كان مجردا من السمات البيروقراطية ، يؤمن "الصلة مع المهن" ويتيح للبروليتاريا فرصة قيادة جماهير الشغيلة ، عن طريق الجمع بين "فوائد النظام البرلماني وفوائد الديموقراطية الصريحة والمباشرة"، ويجمع بين الوظائف التشريعية والتنفيذية . واستنتج لينين انه "لو لم يشكل ابداع الطبقات الثورية الشعبي السوفيتات ، لكانت الثورة البروليتارية في روسيا قضية ميئوسا منها ، ذلك ان البروليتاريا لم يكن بمقدورها دون شك - الاحتفاظ بالسلطة بوجود الجهاز القديم..(٥٧). تلكم هي حصيلة الفترة

Digitized by Birzeit University Library

التي تكثفت تاريخيا في ثمانية اشهر ، فترة عملية تنامي الثورة الديموقراطية البرجوازية الى ثورة اشتراكية التي اسفر في ظلها التفاعل الوثيق بين النظرية الماركسية الثورية والعمل الثوري للجماهير التي تتزعمها البروليتاريا عن مولد شكل جديد مبدئيا من التنظيم الاجتماعي.

ويصور المؤرخون البرجوازيون كل ذلك بانه ما لا يقل عن تخلي روسيا عن "النمط الاوروبي للثقافة السياسية" . بينما جرى في الحقيقة تحرير منقطع النظير لطاقة الشعب الابداعية جاء مواكبا لتبدل التشكيلات الاقتصادية الاجتماعية المختمر تاريخيا. وواضح ان مثل هذه الحالات في الهيكل الاجتماعي نادرة في التاريخ. لذا فان الجهل بجوهرها او عدم فهمه الفهم الكافي ينقلب الى خسائر لا تعوض في التقدم البشري العام.

ويبقى الانتفاع باقصى قدر من قدرة الجماهير على ممارسة النشاط الذاتي المطلب الملح للادارة الاشتراكية للمجتمع. وقانونها الطبيعي . وكما جاء في الصيغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتي ، فان "المجتمع الاشتراكي لا يستطيع اداء وظائفه بفاعلية ونشاط ، ما لم يجد سبلا جديدة لتطوير نشاط الجماهير الابداعي في جميع ميادين الحياة الاجتماعية"(٥٨).

الهوامش:

١) ماركس ، انجلس.المؤلفات ، المجلد ٢ ، ص٩٠.

٢) لينين. المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢ ،ص٥٤٠.

٣) انظر : مقالات في الفكر الاخلاقي في روسيا اواخر القرن التاسع عشر - اوائل القرن العشرين ، موسكو ، ١٩٨٥ ، ص ٢٧٥ - ٢٨٩.

٤) لينين. المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٩،ص٣٩٥.

٥) نفس المصدر، المجلد ٦ ، ص ٣٠ ٠ ٣١.

٦) انظر :

Lundquist L.The Party and Masses.

An Interorganizational Analysis of Lenin's Model for the Bolshevik Revolutionary Movement. Stockholm,New York,1982.

٧) لينين. المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٤ ، ص ٢١٧.

٨) نفس المصدر ، المجلد ١٤ ، ص ٢.

٩) انظر : توكاريف ي.س. الابداع القانوني الشعبي في عشية ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى (اذار - تشرين الاول (مارس - اكتوبر) ١٩١٧ ، موسكو - لينغراد ، ١٩٦٥. غابونيكو ل.س. لينين والابداع الثوري للطبقة العاملة في روسيا عام ١٩١٧ . - في كتاب : مسائل تاريخ المجتمع السوفييتي في مؤلفات لينين. موسكمو ، ١٩٧٠ . غروند ا.ي. حول طبيعة وميكانيزم تطور ابداع الجماهير الثوري (من تجربة ثورة اكتوبر ١٩١٧). - في كتاب : علم التاريخ وبعض مسائل العصر. موسكو ، ١٩٧٠ . سوبوليف غ.ل. الوعي الثوري لدى عمال وجنود بتروغراد في العام ١٩١٧. لينينغراد ١ ١٩٧٣. شيشكين ف.ف. مزاج جماهير

Digitized by Birzeit University Library

الثوري في عشية اكتوبر . - مجلة "تاريخ الاتحاد السوفييتي" ١٩٧٧ ، العدد ٢ ، ومراجع اخرى .

١٠) لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٤ ،ص١٠.

١١) انظر:

Bachrach P. The Theory of Democratic Elitism. A Critique. Boston,1967;Marger M. Elites and Masses. An Introduction to Political Sociology. New York,1981;Prevos J.-Z Le peuple et son maitre. Pour un coup d'etat de L'individu. Paris.1983.

في نقد هذه النظريات انظر : تارتا(م.) نظرية النخب والسياسة. تعليق عل نقد النخبوية. موسكو،١٩٧٨ . نقد المفاهيم الاساسية للتدوين التاريخي البرجوازي المعاصر للثورات الروسية الثلاث. موسكو ١٩٨٢ ،ص١٨٦.

١٢)

Maffersoli M.La violence totalitaire.

Essai d'anthropologie politique.Paris,1979 p.132.

١٣) انظر: افانسييف ي.ن. التاريخية ضد الاصطفائية: مدرسة "الانال" التاريخية الفرنسية في التدوين التاريخي البرجوازي المعاصر. موسكو ١٩٨٠. وللمؤلف ايضا :٥٠عاما من تطور مدرسة "الانال" التاريخية الفرنسية : من فكرة التاريخ العالمي الشامل الى ايديولوجيا معاداة النزعة الثورية - التاريخ والمؤرخون . ١٩٧٧ . موسكو ١٩٨٠.

١٤) انظر:

Hobsbawm E.J.From Social History to the History of Society.- In :Historical Studies Today.Ed.by F.Gilbert,S.Grandbard.N.Y.1975.

١٥) بعض الاستثناء تشكله ابحاث : يوفه غ.ز. رومانوفسكي ن.ف اكتوبر العظيم والصراع الايديولوجي المعاصر . موسكو ١٩٨٥.

١٦) انظر: لينين. المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٢ ص ٣١٧ - ٣١٨.

١٧) نفس المصدر ، ص ٦٣.

١٨) انظر: ديموتشكين ن.ن.الحزب والسوفيتات في العام ١٩٠٥ . مجلة مسائل تاريخ الحزب الشيوعي السوفييتي ،١٩٦٥ العددان ١ و ٢

١٩) مينتس ١٠١.تاريخ اكتوبر العظيم . المجلد ١، موسكو،١٩٦٧ ، ص ٩١٣.

٢٠) لينين. المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣١، ص ١٥٦.

٢١) انظر: نفس المصدر ، المجلد ٤١،ص٢٠٠.

٢٢) انظر: فولكوف ١٠١. مجابهة ام حل وسط؟ (ماذا تعني مساهمة العمال في ادارة المؤسسة الرأسمالية؟). موسكو١٩٨٦.

٢٣) انظر:

Avrich P.The Russian Anarchists.

Digitized by Birzeit University Library

Princeton, 19167;Brinton M.The Bolsheviks and Workers' Control. London,1970;Kaplan F.I.Bolshevik Ideology and Ethics of Soviet Labour. London,119691; Chauvier J. - M. Controle ouvrier et "autogestion sayvage: en Russie(1917 - 1921). - Revue des Pays de L'Est.1973,Vol.14;Monds J.Workers' Control and the Historians:A New Economism.New Left Review,Vol.97,May - J - ne 1976;etc.

٢٤) انظر :

Rosenberg W.G.Workers' Control on Railroads. - Journal of Modern History,1977,Vol.49,No.2; Smith s.A. Craft Consciousness, Class Consciousness: Petrograd,1971. History Workshop. Vol.11,Spring 1981;etc.

٢٥) انظر:

Tilly L.et al. Problems in Social History: A Symposium. - Theory and Society, 19801,No.9.

٢٦) انظر:

Johanncsen B.Den russiske

Kontrarevolution:Leninistik mytologi og historic virkelighed.Kobenhavn,1983.

٢٧) انظر : تاريخ الطبقة العاملة السوفييتية في ستة مجلدات. الطبقة العاملة في ثورة اكتوبر وفي حماية منجزاتها. الاعوام ١٩١٧ - ١٩٢٠ ، المجلد ١.موسكو ، ١٩٨٤ ، ص ٤٥، ٥٦ - ٥٨.

٢٨)

Koenker D.Moscow Workers and the 1917 Revolution. Princeton,1981;Smith S.A.Red Petrograd.Revolution in the Factories 1917 - 1918.Cambridge , 1983;Mandel D. The Petrograd Workers and the Fall of the Old Regime. From the February Revolution to the July Days 1917, L.,Basingstoke,1983; Smith S.A.The Petrograd Workers and the Soviet Seizure of Power.From the July Days 1917 to July 1918. L.,Basingstoke,1984;Raleigh D.G.Revolution on the Volga:1917 in Saratov.Ithaca and London,1986.

٢٩) انظر: ستيبانوف ز.ف.لجان المصانع والمعامل في بتروغراد عام ١٩١٧ . لينغراد،١٩٨٥ ، ص ٦٤ - ٦٥.

Digitized by Birzeit University Library

(٣٠
Doender D.op.cit.,p.363; Smith S.A. The Petrograd Workers and the Soviet
٣١) انظر: Seizure of Power.pp.178 - 180,145.
Rosenberg W.op.cit.,pp.89 - 94 ; History Workshop,Vol.11,Spring 1981,pp.51.52.

٣٢) انظر : لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٤و ص ١٩٢ ، ٢٩٩ و ٣٧٢.
٣٣) لجان المصانع والمعامل في بتروغراد عام ١٩١٧. لينينغراد ١٩٧٩ ، ص ٤٢٩
٣٤) الحركة العمالية عام ١٩١٧. لينينغراد - موسكو ١٩٢٦ ،ص٨٣ ، ٨٥.
٣٥) بولداكوف ف.ب يفانوف ا.ي. يفانوفا ن.ن. شيلوخاييف ف.ف الصراع على الجماهير في الثورات الثلاث في روسيا . البروليتاريا وفئات المدن المتوسطة . موسكو ، ١٩٨١ ، ص ١٦٩ - ١٧٠.

٣٦) انظر :
Gizault R.,Ferro M.De la Russie
a l U.R.S.S L'Histoire de la russie de 18510 a nos jours.Paris,1983,p.120.

٣٧) انظر : بيرشين ب.ن. الثورة الزراعية في روسيا . الكتاب الاول . موسكو ،١٩٦٦. كرافتشوك ن.ن. حركة الجماهير الفلاحية في روسيا عشية اكتوبر . موسكو ،١٩٧١. اوسيبوفا ت.ف.الصراع الطبقي في الريف في فترة اعداد واجراء ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . موسكو١٩٧٤. وغيرها.
٣٨) انظر : لينين. المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٤، ص ٣٢٤.
٣٩) انظر : اوسيبوفا ت.ف. فهرس المؤلفات ، ص ١٦٩، ٢٣١ - ٢٣٢.
٤٠) انظر :
Gill G. Peasants and Government in the Russian Revolution. L.,Warcester,1979;Vaney G. The Urge to Mobilize: Agrarian Reform in Russia, 1861 - 1930. Urbana , Chicago,L.,1982.

٤١) انظر : خوروس ف.غ. تيارات فكرية من طراز الشعبيين في الاقطار النامية . موسكو ١٩٨٠.
٤٢) انظر : دانيلوف ف.ب اضواء على المصائر التاريخية للمشاعة الفلاحية في روسيا . - حولية التاريخ الزراعي، الاصدار ٦. فولوغدا ١٩٧٦ .كابانوف ف.ف ثورة اكتوبر والمشاعة الفلاحية . - مجلة "ملاحظات تاريخية ١٩٨٤، المجلد ٣. زوتوفا ١٠١.، نوفيكوف ف.ف. ، وروخوفا ي.ف. خصائص نفسية فئة الفلاحين (الماضي والحاضر). موسكو ١٩٨٣.

٤٣) انظر:
Kingstone - Mann E. Marxism and Russian Rural Development. - The American Historical Review,Vol.96,No.4,October 1981 ; Atdinson D.The End of the Russian Land Commune , 19015 - 1930. Stanford, 1983.

Digitized by Birzeit University Library

٤٤) لينين. المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٤ ، ص ٢٩٧.

٤٥) نفس المصدر ، ص ٤٠٠.

٤٦) نفس المصدر ، المجلد ٢٧ ، ص ٣١١ - ٣١٢.

٤٧) سوبوليف غ.ل. حامية بتروغراد في النضال من اجل انتصار اكتوبر . لينينغراد ، ١٩٨٥ ص٦٤.

٤٨) اندرييف ا.م. جماهير جنود حاميات الجيش الروسي في ثورة اكتوبر . موسكو ١٩٧٥ ص ٢٣٤ ، ٢٤٧ ، ٢٦٥. مينتس ١٠١. تاريخ اكتوبر العظيم المجلد ٢ موسكو ١٩٧٨ ص ٧٤٧ - ٧٥٧.

٤٩) لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٤ ، ص ٣٤٠.

٥٠) نفس المصدر ، المجلد٤٠ ، ص٩ و ١٠.

٥١) نفس المصدر ، ص ١٩ - ٢٠.

٥٢) انظر : مينتس ١٠١ . فهرس المؤلفات ، ص ٧٦٢ - ٧٦٧.

٥٣) انظر : لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٤ ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، ٢٩٩.

٥٤) نفس المصدر ، ص ٢٩٨.

٥٥) نفس المصدر ، ص ١٩٧ - ١٩٨.

٥٦) نفس المصدر ، ص ٢٤١.

٥٧) نفس المصدر ، ص ٣٠٤ و ٣٠٥.

٥٨) مواد المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي . موسكو ١٩٨٦ ،ص ١٤٠.

Digitized by Birzeit University Library

"التدمير المستمر للزراعة في الارض المحتلة

واثر ذلك على التغيرات الهيكلية في بنية هذا القطاع"

- د. سمير حزبون - *

تتعرض الضفة الغربية وقطاع غزة في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، الى مجموعة من الممارسات التعسفية ، الاقتصادية والقمعية ، لتحقيق اهداف التوسع والتهجير في هذه المناطق المحتلة ، بما يخدم المصالح الصهيونية في الاستيلاء على الارض وطرد السكان الفلسطينيين العرب ، وتحقيق الاحلام الامبريالية - الصهيونية في التوسع وفرض الهيمنة .

ومن الواضح على الصعيد الاقتصادي ان الاحتلال الاسرائيلي هو احتلال كولونيالي - استعماري ولقد برز ذلك جليا من خلال ممارسته في العشرين عاما الماضية حيث تمثلت باتخاذ الاجراءات والتدابير الاقتصادية التي ادت الى تحويل الاقتصاد في المناطق المحتلة الى اقتصاد تابع او ملحق للاقتصاد الاسرائيلي ، حيث اصبح يعاني مما يعانيه هذا الاقتصاد التوسعي من مشاكل وصعوبات ، اضافة الى فرض التبعية عليه ، والتضييق وتحديد سبل الدعم المختلفة .

لذلك نلاحظ ان السياسة الاقتصادية رمت الى تحويل المناطق المحتلة وما زالت الى سوق استهلاك رئيسي للمنتجات الاسرائيلية ، الزراعية والصناعية ، المدعومة من قبل الحكومة الاسرائيلية والتي تتمتع بمميزة سعرية اقل من اسعار المنتجات المحلية ، وبالتحكم بسوق الاستيراد والتصدير الى المناطق المحتلة ومنع المنتجات الزراعية خاصة في الضفة والقطاع من الوصول الى السوق الاسرائيلي ، يضاف الى هذا فرض سياسة ضريبية متعددة ومتنوعة ، منها ضريبة القيمة الاضافية على كل مؤسسة منتجة ، وغير منتجة ومصدر لتزويد الاقتصاد الاسرائيلي بالايدي العاملة الرخيصة .

كل ذلك يتم في الوقت الذي لا تلتزم سلطات الاحتلال باي نوع من انواع الدعم للمؤسسات الانتاجية الزراعية والصناعية في المناطق المحتلة

---

* د. سمير حزبون
رئيس دائرة الاقتصاد في جامعة بيرزيت .

Digitized by Birzeit University Library

، وغالبا ما يتم تقدير الضرائب بشكل تعسفي .

وبالتالي تأثرت مختلف نواحي النشاط الاقتصادي ، وبشكل خاص الزراعة ، في الضفة الغربية وقطاع غزة بمخططات واجراءات الاحتلال الاسرائيلي التي استهدفت ولا تزال تستهدف تغيير الواقع في المناطق المحتلة من خلال سياسة خلق الحقائق الجديدة ، حيث اتجهت سياسة الاحتلال الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة نحو تحويل هاتين المنطقتين الى مستعمرات من نوع خاص يتفق واهداف الاستعمار الاستيطاني الصهيوني ومخططاته التوسعية الالحاقية ، حيث استهدفت هذه السياسة ربط اقتصاد هاتين المنطقتين بالاقتصاد الاسرائيلي ، وفرض نوع من تقسيم العمل بينهما وبين اسرائيل على شكل تقسيم العمل الذي كان سائدا بين الدول الاستعمارية ومستعمراتها .

وبالنتيجة فلقد انعكست هذه الممارسات على طبيعة تطور الاقتصاد الوطني في المناطق المحتلة الذي كان قبل الاحتلال يعاني من الضعف العام وشح رؤوس الاموال المستثمرة في الانتاج الوطني بشكل خاص ... ادى كل ذلك الى ان تصل الاوضاع الاقتصادية في المناطق المحتلة الى درجة خطيرة التدهور ، وتبعا للاحصائيات الاسرائيلية فان قيمة الانتاج الوطني ارتفعت من ٤٧,٥ مليون شيكل في عام ١٩٦٨ الى ١٦٨٤٣ مليون شيكل في عام ١٩٨١ ، بالاسعار الجارية . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان العملة الاسرائيلية انخفضت في تلك السنوات بنسبة ٤٣٨٧,٧٪ ، فان نسبة الزيادة السنوية في الفترة المذكورة لم تزيد على ٠,٦٪ وهو معدل يوازي الركود.

ان ما يلفت الانتباه هنا، ضعف نصيب الزراعة في المناطق المحتلة ، وهي التي كانت تعتبر المورد الاساسي والقطاع الانتاجي القائد في هاتين المنطقتين . حيث ساهمت ، قبل العام ١٩٦٧ ، بما يقارب ٣٧٪ من مجمل الانتاج الوطني في الضفة الغربية و ٤٣,٤٪ من مجمل الانتاج الوطني في قطاع غزة ، انخفضت الى ٢٩,٢٪ و ١٢,٢٪ على التوالي في هاتين المنطقتين لعام ١٩٨٠ . ولم يأت الانخفاض نتيجة تطور فروع انتاجية اخرى كالصناعة وانما نتيجة لتدهور الانتاج الزراعي ذاته الذي تأثر بسياسة التبعية الاقتصادية والاجراءات التي طبقتها سلطات الاحتلال عبر الاعوام العشرين الماضية .

بالاضافة الى كل ما تقدم ، فانه لا يمكن فصل هذه المشكلة عن مجمل التراكمات السياسية والاجتماعية التي تعرضت ولا تزال لها المنطقة ، من تغيرات سياسية حادة وانتقال السلطة خلال العقود الثمانية الماضية الى عدة انظمة سياسية ، متعددة المصالح ومتضاربة الاهداف ، ادت الى وقوع المزارع وبالتالي الانتاج الزراعي بكامله ، ضحية للممارسات والقوانين التي سنتها هذه الانظمة تحقيقا لغاياتها الذاتية، كذلك ، فان ظروف عدم الاستقرار هذه اعاقت القيام بالاصلاحات العامة للتركيب الاجتماعي والاقتصادي بشكل يماشي الضروريات الحياتية والانتاجية المعاصرة ، وكانت النتيجة ان ترك المزارع لوحده نسبيا ، لمواجهة المتطلبات الاستهلاكية للمجتمع ، وكان عليه لوحده مسؤولية استغلال واستثمار الموارد التي تتكفل بها الحكومات عادة . وكان على هذا المزارع ، فوق ذلك ، ان يغامر بزراعته ، دون اي حد من الضمان والحماية والتنظيم .

اولا - الاهمية البارزة للقطاع الزراعي قبل الاحتلال :

قبل الاحتلال كان القطاع الزراعي يلعب دورا اساسيا في الاقتصاد الوطني للضفة الغربية وتتجلى اهمية هذا القطاع من ملاحظة مساحة

Digitized by Birzeit University Library

الاراضي المزروعة ونسبة العاملين في القطاع الزراعي ، ونسبة مساهمة الانتاج الزراعي في الدخل القومي .

قبل حرب حزيران كان حوالي ٣٦٪ من مجمل مساحة الضفة الغربية ارضا مزروعة وكان هذا يشكل ما نسبته ٣٢٪ من مجمل المساحة الزراعية في الضفتين . وكانت تقوم الزراعة في معظمها على الحيازة الفلاحية الصغيرة .

فقد قدرت مساحة الاراضي الزراعية عام ١٩٦٥ بحوالي مليوني دونم توزعت على ٥٥ الف حيازة اي بمتوسط قدره (٤٤) دونم للحيازة الواحدة . وتشير الاحصائيات الى ان ٧٠٪ من حيازات الضفة الغربية تقل مساحتها عن ٥٠ دونم وان ٤٠٪ تقل مساحة كل منها عن ٢٠ دونم . ومساحة الانتاج الزراعي في الضفة الغربية بلغ ٣٤ - ٤٠٪ من مجموع الانتاج الزراعي في الاردن في المتوسط للسنوات ٥٩ - ١٩٦٥ وهي اعلى نسبة بين سائر فروع الاقتصاد . ولا تتوفر بالطبع احصاءات مستقلة للدخل القومي في الضفة الغربية قبل حزيران ١٩٦٧ ، الا ان النسب المذكورة اعلاه تشير بوضوح الى ان الانتاج الزراعي يشكل البند الاكثر اهمية بين سائر فروع الانتاج . وقد ساهمت الضفة الغربية بما نسبته ٨٠٪ من المساحة المزروعة فواكه و ٤٥٪ من المساحة المزروعة خضروات في الضفتين .

ثانيا : مظاهر الدمار الزراعي في ظل الاحتلال -

ان نتائج عملية تخريب وتدمير الاساس الزراعي التقليدي لاقتصاد المناطق المحتلة يظهر خلال الحقائق التالية :

١ - انخفاض مساحة الارض المزروعة :

تبلغ المساحة الكلية للضفة الغربية نحو ٥٥٧٢ كم٢ او ما يعادل ٥،٨٧٨ مليون دونم ، بينما بلغت المساحة المزروعة منها في عام ١٩٦٦ حوالي ٢،٦١٢ مليون دونم ، او ما يعادل ٤٦٪ من المساحة الكلية . اما قطاع غزة فتبلغ مساحته الكلية ٣٢٧ كم٢ . وبلغت مساحة الاراضي الزراعية فيه في عام ١٩٦٦ نحو ١٧٠٢٥٥ دونما ، او ما يعادل ٥٢٪ من مساحة القطاع الكلية .

وخلال العقدين الماضيين لم يحدث اي تطور او زيادة في المساحة المزروعة، بل على العكس من ذلك ادى البرنامج الاستيطاني الاسرائيلي من جهة وانتقال الايدي العاملة الى اسرائيل من جهة اخرى الى تقليص المساحة المزروعة ، ففي الضفة استولت سلطات الاحتلال على ١،٥ مليون دونم تشكل ٢٧،٥٪ من المساحة الكلية بالاضافة الى الاملاك الحكومية التي تبلغ مساحتها نحو مليون دونم ، وبلغت مساحة املاك الغائبين التي وضعت سلطات الاحتلال يدها عليها في الضفة ٢٢٨٧٨٩ دونم كما قدرت مساحة الاراضي المصادرة لاغراض الاستيطان او اقامة المعسكرات نحو (٣٦٨) الف دونم او ما يعادل ٦،٧٪ من مجموع مساحةالضفة الغربية. ونتيجة لعدم قدرة الكثير من المزارعين الصغار في الضفة على الصمود بسبب التضخم والغلاء الزاحفين مع التبعية الاقتصادية وبسبب تدني ريعية الانتاج الزراعي في بعض المناطق ، اضطروا الى هجر الزراعة جزئيا او كليا وترك اراضيهم بورا دون استغلال . وقد قدرت مساحة هذه الاراضي حوالي (٣٣٥) الف دونم .

ونتيجة لكل ما تقدم تقلصت مساحة الاراضي الزراعية في الضفة الغربية خلال سني الاحتلال وهبطت من ٢،٦١٢ مليون دونم عام ١٩٦٧ الى ١،٥٨٤ مليون دونم عام ١٩٨٧ او ما يعادل نقص بمقدار ٤٣،٣٪ من مجمل المساحة الزراعية للضفة .

Digitized by Birzeit University Library

وفي قطاع غزة ، استولت سلطات الاحتلال على الاراضي الحكومية التي تبلغ مساحتها نحو ١٢٠ الف دونم ، وخصصت منها (٢٢) الف دونم لاغراض الاستيطان الصهيوني ، هذا بالاضافة الى ٨٠٠ دونم قرب قرية بيت حانون خصصت لاقامة القرية الصناعية (ايرز) . وهكذا تجمدت المساحة المزروعة في قطاع غزة دون اية زيادة ،واذا كانت الاحصائيات الاسرائيلية تشير الى ان مساحة الاراضي الزراعية في القطاع تبلغ نحو (٢٠٠) الف دونم ، وهذا الرقم يشتمل على الاراضي الزراعية في شمالي سيناء ايضا .

٢ - انخفاض نسبة العاملين في القطاع الزراعي الى مجموع القوة العاملة :

لقد انخفض عددهم من ٥٩ الفا عام ١٩٧٠ الى ٣٩ الفا عام ١٩٨٣ وحتى تخفي الاوساط الاسرائيلية المحتوى التدميري لهذه الظاهرة تروج تقديرات مفادها ان هذا التناقض جاء نتيجة اختفاء البطالة المقنعة التي كانت سائدة في العمل الزراعي وان ما حدث في هذا المجال يشكل مؤشرا على النمو . والملاحظ ان تناقص الايدي العاملة في الزراعة لم يقترن بزيادة الايدي العاملة في القطاعات الانتاجية الاخرى ، وتشير الاحصائيات الى ان عدد العاملين في الزراعة في الضفة الغربية قد انخفض من ٤٢٪ من مجمل القوة العاملة في عام ١٩٦٨ الى ٣٣٪ في عام ١٩٨٠ والى ٢٨,٥٪ في عام ١٩٨٥ . وانخفض في قطاع غزة من ٣٢٪ عام ١٩٦٩ الى ١٨,٥٪ في عام ٨٤/٨٣ من اجمال القوة العاملة .

ان الانخفاض في عدد العاملين باجر في الزراعة في الضفة الغربية كان كبيرا جدا ان انخفض العدد من ٨,٦ الاف عام ١٩٧٠ الى ٢,٦ عام ١٩٧٧ ، اي بنسبة ٧٠٪ بينما كان الانخفاض اقل في قطاع غزة حيث يشكل العاملون باجر حوالي ٦٠٪ من مجمل العاملين في الزراعة . اما في الضفة الغربية فان غالبية العاملين في الزراعة هم من المنتجين المستقلين وافراد عائلاتهم .

وفي الوقت الراهن يمكن ملاحظة زيادة عدد سكان المناطق المحتلة والتي تمت خلال السنوات العشرين الماضية ، الا ان هذه الزيادة السكانية ومنذ نهاية السبعينات تقريبا لم توازيها زيادة في عدد العاملين باسرائيل ، وعند تحليل الارقام ودراسة الواقع الاقتصادي نلاحظ ان هذه الزيادة السكانية يمكن ان تشكل دليلا الى العودة للعمل في الزراعة ، اذ لاحظنا ان هذه الزيادة السكانية ترافقت ، بزيادة عدد الفلسطينيين العائدين الى الارض المحتلة من دول الخليج العربي ايضا ، نتيجة لظروف الحرب القائمة هناك وتاثيراتها على اقتصاديات تلك البلدان .

لا شك في ان هذه الحقائق مجتمعة تؤكد على اهمية القطاع الزراعي من الناحية الاقتصادية على الرغم من التذبذبات في عدد العاملين في هذا القطاع منذ فترة الى اخرى .

٣ - انخفاض الاهمية النسبية للانتاج الزراعي في تكوين الدخل القومي :

ان انخفاض اهمية الانتاج الزراعي يمكن ان تستنتج من تحليل ارقام التجارة الخارجية بالمنتجات الزراعية بين المناطق المحتلة وكل من اسرائيل والاردن وسائر البلدان . ان مجمل ميزان تجارة المنتجات الزراعية والغذائية للمناطق المحتلة مع الخارج قد ابتدأت تسجل عجزا واضحا بعد الاحتلال .

كما ان مساهمة الزراعة في الدخل القومي للمناطق اخذت تختلف من سنة لاخرى خاصة في الضفة الغربية ، بسبب تذبذب المحصول الزراعي

Digitized by Birzeit University Library

نتيجة لتقلبات الاحوال الجوية ، الا ان الملاحظ بشكل عام استمرارية هبوطها بانتظام حيث انخفضت في الضفة الغربية من ٥٣,٥٪ عام ١٩٦٨ الى ٢١٪ عام ١٩٧٧ و ١٨,٥٪ فقط في عام ١٩٨٢ .

اما في قطاع غزة فقد هبط نصيب الزراعة في الدخل القومي من ٢٨,١٪ عام ١٩٦٨ الى ١٩,٨٪ عام ١٩٧٣ الى ١٢,٣٪ عام ١٩٨٣ .

ومن المعلوم ان المحاصيل الزراعية (الثروة النباتية) عادة تشكل ثلثي الدخل من الزراعة في الضفة الغربية بينما يشكل الانتاج الحيواني ثلث الدخل . وبمقارنة معدل نمو الانتاج السنوي في الفترة ما بين عام ١٩٦٨ وعام ١٩٨٧ ، مع معدل نمو الانتاج في سنوات الستينات التي سبقت الاحتلال الاسرائيلي ، يتضح لنا ان معدل نمو الانتاج خلال سني الاحتلال كان في معظم الفروع دون معدل نمو الانتاج في الفترة التي سبقت الاحتلال .

والواقع ان انخفاض مساهمة الزراعة في الدخل القومي ناتج اساسا عن انخفاض المساحة المزورعة وعدم توسعها ، ومن ثم عن ارتفاع نسبة الدخل من الفروع غير الانتاجية كالخدمات والمواصلات التجارية وعن دخل عناصر الانتاج من العالم الخارجي التي تتكون في معظمها من اجور العمل في الاقتصادي الاسرائيلي .

٤- فرض القيود على المياه:

تسود في الضفة الغربية الزراعة البعلية التي تعتمد اساسا على الامطار ، ونظرا لتذبذب كمية الامطار بشكل عام من سنة لاخرى فان الانتاج الزراعي فيها يكون عادة عرضة للتقلبات وخاصة بالنسبة لمحصول الزيتون والمحاصيل الحقلية كالحبوب والبقول .

وتبلغ مساحة الاراضي التي تعتمد جميعها على الري حوالي مئة الف دونم او ما يعادل ٤,٦٪ من مساحة الاراضي الزراعية ، وغالبيتها تقع في الغور ومنطقتي طولكرم وقلقيلية وتعتمد على الري من الابار الارتوازية .

وخلال سنوات الاحتلال ، بقيت المساحة المروية على حالها دون زيادة واكثر من ذلك بدات الزراعة المعتمدةعلى الري تواجه مشاكل تناقص كمية المياه المستخرجة نتيجة القيود التي فرضتها سلطات الاحتلال على عملية حفر الابار وضخ المياه ، ونتيجة تخصيص قسم من المياه الجوفية في الضفة لاستعمال المستوطنات الاسرائيلية التي اقيمت هناك . وترافق ذلك باجراءات مشددة من قبل سلطات الاحتلال على استعمال المياه بالنسبة للمزارعين العرب وحددت كمية المياه التي يمكن ضخها .

كما يوجد حاليا في الضفة الغربية ٣١٤ بئرا ارتوازية عربية تضخ حوالي ٣٥ مليون متر مكعب في السنة ، في حين ان ١٧ بئرا موجودة في المستوطنات الاسرائيلية في الغور ضخت لوحدها ١٤ مليون متر مكعب .

ان الاهمية الحقيقية لقطاع الزراعة المروية في الضفة الغربية تزيد كثيرا عما توحيه الارقام السابقة ، فعلى سبيل المثال تتراوح مساهمة الحمضيات والخضار المروية في الدخل الزراعي الاجمالي من ٢٢٪ الى ٣٠٪ . واذا اضفنا الموز والمشاتل وبعض المزروعات المروية الاخرى ، فان حصة الزراعة المروية قد تزيد في معظم السنين عن ثلث الدخل الزراعي .

اما في قطاع غزة حيث تبلغ كمية الامطار المتساقطة ما بين ٣٠٠ - ٤٠٠ ملم سنويا ، فان المحصول الزراعي فيه اقل تذبذبا منه في الضفة الغربية لان حوالي ٤٥٪ من مساحة الاراضي الزراعية في قطاع غزة تعتمد على الري من الابار . ويوجد في قطاع غزة حاليا حوالي ١٨٠٠ بئرا تضخ سنويا ما بين ١١٥ - ١٢٠ مليون

Digitized by Birzeit University Library

متر مكعب من المياه.

وقد فرضت السلطات الاسرائيلية قيودا مشددة على استخدام المياه في قطاع غزة كما هو الحال في الضفة الغربية بحيث تحولت هذه القيود الى مشكلة رئيسية تواجه الزراعة في الاراضي المحتلة وتعيق امكانية زيادة المساحة الزراعية المروية .

وبعد المسح الشامل للابار العربية ثبت انها تتعرض الى مشكلة تردي طاقتها الانتاجية بسبب تراكم عدة عوامل في هذا الاتجاه . فالملوحات والموتورات المستخدمة فيها هي من الانواع القديمةوالتي اضعفت كفاءتها ، كذلك فان استهلاكها الزائد من الوقود الى ان تكون كلفة تشغيلها مرتفعة كثيرا مما اثر بشكل محسوس على تكاليف الانتاج الزراعي . كما ان السبب الثالث لانخفاض الانتاج يعود الى نوع وعمق الحوض المائي الذي تضخ منه الابار العربية . فهذه الابار تضخ من حوض مائي سطحي نسبيا لا يتجاوز عمقه في الغالب ١٢٠ مترا .

ان الاخطار التي تحيط بالابار العربية في المناطق المحتلة هي ليست احتمالا نظريا بعيد الوقوع ، بل على العكس فان المشكلة بدأت تأخذ شكلا واقعيا حادا ... وبالطبع فان انحباس الامطار يؤدي الى زيادة حدة المشكلة ولكن السبب الاهم هوتأثير الابار الارتوازية الاسرائيلية على الابار العربية المجاورة . وينطبق هذا بشكل خاص على الابار المتواجدة في السهول الغربية للضفة الغربية والتي تتنافس مع عدد كبير جدا من الابار الاسرائيلية الواقعة غربي حدود عام ١٩٦٧ .

٥ - الاستيطان وسياسة الاستيلاء على الاراضي :

ان الدور الذي لعبه الاستيطان وما زال يلعبه بشكل اساسي هو محاولة سحب الارض التي يقوم عليها الوجود البشري وبالتالي الوجود القومي للشعب الفلسطيني ، واذا ما فقدت الارض تأثرت بذلك عناصر الانتاج الاخرى التي تلعب دورا هاما في النشاط والفعالية الاقتصادية .

وخلال العقدين المنصرمين ظهر وبشكل جلي ان السياسة الاسرائيلية ترمي الى السيطرة الكاملة على الضفة الغربيةوقطاع غزة ، حيث مارست ذلك منذ عام ١٩٦٧ بالاستيلاء ومصادرة الاراضي العربية وتحويل العديد منها الى مستوطنات للاغراض السكانية والاقتصادية بالاضافة الى كون بعضها قد شكل وحدات انتاجية زراعية وصناعية وسكنية لدولة اسرائيل .

وكما تم الاشارة الى بعض الحقائق تحت عنوان (انخفاض مساحة الارض المزروعة) ، فلقد استولت سلطات الاحتلال في الاراضي المحتلة على جميع الاراضي التي كانت تحت تصرف الحكومة الاردنية والمصرية ..

ويلاحظ الى انه بالاضافة الى عامل سلب الاراضي من المواطنين العرب بهدف تقليص رقعة المساحة الزراعية ، فان الحكومة الاسرائيلية كانت تهدف الى تدمير البنية الاقتصادية للضفة الغربية وقطاع غزة والذي يشكل القطاع الزراعي قاعدتها الاساسية .

ثالثا : التغيرات الهيكلية في بنية القطاع الزراعي :

الى جانب مظاهر التدمير المستمر للزراعة ، فان احدى المؤشرات والنتائج البارزة لعملية الاخضاع الكولونيالي التي يسببها الاحتلال ، تبرز في القطاع على شكل تغيرات هيكلية جذرية في تكوين هذا القطاع . حيث يتجه الهيكل الانتاجي للقطاع الزراعي اكثر فاكثر

Digitized by Birzeit University Library

نحو التخلي عن المحاصيل التقليدية التي عرفت بها المناطق المحتلة والتي كانت تجد سوقها الرئيسي في الاردن والبلدان العربية الاخرى ، كالفواكه والخضروات ، ونحو ازدياد تبعية الانتاج الزراعي وارتباطه بحاجات اسرائيل الى المواد الخام الزراعية او سلع التصدير الزراعية كالسمسم والدخان والبندورة والعنب (لصناعة الخمور) والخيار الصالح للتعليب ، وبشكل رئيسي الحمضات ..

ويوضح الجدول رقم (١) التغيرات التي طرأت على انتاج المحاصيل الزراعية في الضفة الغربية للفترة الواقعة بين ١٩٦١ - ١٩٨٢ ، كما هو مبين ادناه :

المحاصيل الزراعية في الضفة الغربية
(١٩٦١ - ١٩٨٢) - بالاف الاطنان -

المحصول	معدل اعوام ٦١ - ١٩٦٦	معدل اعوام ٦٩ - ١٩٧٥	معدل اعوام ٧٥ - ١٩٨٢	التغيير بين اعوام ١٩٦١ - ١٩٨٢
حبوب	٦٥،٩	٤٧،٥	٣٥،٣	- ٤٥٪
خضروات	١٢٨،٨	١٠٥،٥	١٥٧،١	+ ٢١٠٠٪
بطيخ وشمام	٧٠	٧،٦	٢٤	- ٦٥،٧٪
حمضيات	٢٣،٥	٥٠،٨	٧٦،٦	+ ٢٢٥،٩٪
زيتون	٤٣،٨	٤٢،٨	٧٠،٤	+ ٦٠،٧٪
فواكه اخرى	٦٧،٤	٦١،٢	٩٢	+ ٣٧،٩٪

ولقد انخفضت المساحة المخصصة لزراعة البطيخ مثلا (والذي كانت غالبيته تسوق في الضفة الشرقية والبلدان العربية) من ٤٣ الف دونم عام ١٩٦٨ الى ٢٦ الف دونم لعام ١٩٧٠ ومن ثم الى ١٥ الف دونم عام ١٩٧١ . وازدادت مساحة الارض المخصصة لانتاج التبغ من ١٥٠٠ دونم الى ٨٠٠٠ دونم بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ كذلك ازداد انتاج السمسم (الذي تحتاجه الصناعات الاسرائيلية كمادة خام) من ٧٠٠ طن عام ١٩٦٨ الى ١٧٠٠ طن عام ١٩٦٩ .

وقد ارتفع الى حد كبير انتاج الحمضيات والتي يتم تسويق جزء لا باس به منها من خلال مجلس تسويق الحمضيات الاسرائيلي ، حيث يشتري حمضيات المناطق المحتلة باسعار منخفضة والناجمة عن انخفاض تكاليف انتاجها بنسبة ٤٠٪ تقريبا ، من تكاليف انتاج الحمضيات الاسرائيلية ، ويجري تصريف هذه الحمضيات في الخارج بنفس اسعار الحمضيات الاسرائيلية مما يحقق للمنتجين والتجار الاسرائيليين ارباحا مضاعفة .

كما وصل حجم ما استوردته المناطق المحتلة من منتجات زراعية لعام ١٩٨٢ ، الى ٢٢،٤٪ من حجم المنتجات الزراعية في هذه المناطق وان ٥٩،٩٪ من استهلاك المناطق من الفواكه و ٢٦،٢٪ من استهلاكها للخضار يستورد من اسرائيل . واذا قارنا هذه النسبة بحقيقة ان الضفة الغربية كانت تساهم بحوالي ٤٥٪ من المساحة المزروعة بالخضروات في الضفتين قبل

Digitized by Birzeit University Library

العام ١٩٦٧ ، يتبين لنا مدى التحولات التي حصلت على هيكل الانتاج الزراعي في ظل الاحتلال ، والتي تشير الى تزايد تبعية القطاع الزراعي وإخضاعه للحاجات الاسرائيلية من المواد الاولية او مواد التصدير على حساب تدمير المحاصيل الزراعية التقليدية .

اما الثروة الحيوانية التي قدمت في عام ١٩٨٢ ما يقارب ٣١،٦٪ من حجم مجمل الانتاج الزراعي فهي بدورها ، تعاني مما تعانيه المحاصيل الزراعية من منافسة الانتاج الاسرائيلي ، ونقص الاعلاف وارتفاع ثمنها ، ونقص اليد العاملة وعدم وجود سلالات محسنة ،ومن ندرة الخبرات الاستشارية . الا ان اشد ما اثر في انتاج الثروة الحيوانية كان اغلاق ومصادرة المساحات الواسعة التي كانت عادة تشكل مراع لقطعان الماشية . وقد تسبب ذلك في انخفاض كبير في الانتاج . اذ انخفض عدد الاغنام والماعز في الضفة الغربية من ٤٨٤ الف رأس عام ١٩٧٤ الى ٣٨٠ الف عام ١٩٨٠ ، والابقار من ٢٥ الفا الى ١٤ الفا للفترة ذاتها .

وفي قطاع غزة انخفض عدد رؤوس البقر من ١٠ الاف عام ١٩٦٦ الى ٦ الاف عام ١٩٨٠ والاغنام من ٥٠ الف راس عام ١٩٧٣ الى ٤٠ الفا عام ١٩٨٠ .

وعند تحليل الارقام السابقة الذكر بخصوص الثروة الحيوانية يمكن القول وبصفة عامة ، بانها صادفت مشاكل وعقبات متعددت في ظل الاحتلال الاسرائيلي ادت في الغالب الى تناقص اعدادها وانخفاض انتاجيتها . ويعود ذلك للاسباب التالية :

١) مصادرة المراعي واغلاقها من قبل السلطات الاسرائيلية هذا بالاضافة الى ما ذكر سابقا حول مصادرة الاراضي الزراعية من اجل انشاء المستوطنات وبحجة الضرورات الامنية . حيث تمت مصادرة واغلاق ١،٥ مليون دونم من المراعي الطبيعية وذلك من اصل حوالي ٢ مليون دونم هي مساحة المراعي الكلية في الضفة الغربية . وهنا تزداد هذه المشكلة وضوحا اذا ما علم ان نحو ٦٩٪ من المستلزمات الغذائية للاغنام والماعز تتأتى من المراعي الطبيعية.

٢) المنافسة الاسرائيلية للمزارعين العرب في مجال تربية الحيوانات وهي في الغالب تكون لصالح المزارعين الاسرائيليين الذين يتلقون دعما حكوميا وتسهيلات متعددة . هذا علاوة على العديد من المشاكل المالية وتوفير الاعلاف والصعوبات الفنية التي تواجه هذا القطاع وتحد من امكانية توفيره منتوجا كافيا لسد احتياجات المواطنين من الثروة الحيوانية وبالتالي يسد العجز الناشىء عن طريق الاعتماد على السوق الاسرائيلية .

بالنتجية ، نستطيع القول بانه كان لمجمل النهج الاقتصادي الاسرائيلي المتبع في المناطق المحتلة انعكاساته السلبية ليس على مستوى الوضع الزراعي العام فقط وانما ايضا على افاق تطور هذا القطاع الاساسي والذي يجب ان يكون عماد اقتصاد المناطق المحتلة ، حيث انعكس ذلك في التغيرات السابقة الذكر في التركيبة الهيكلية للقطاع الزراعي وكان من ابرز معالمها اللاحقة هو تزايد عدد العاملين في اسرائيل في القطاعات المختلفة والذين اجتذبتهم الاجور المرتفعة قياسا للمناطق المحتلة ، بالاضافة الى تقلص مساحة الرقعة الزراعية ، ان هذه العوامل مجتمعة ادت الى ارتفاع نسبة او عدد ابناء الريف الفلسطيني والمخيمات العاملين في اسرائيل ، حيث تمخض عنها زيادة كمية النقود في الريف وازداد بالتالي ارتباط الريف بالسوق ، ولكن هذا الارتباط لم يكن في الاساس ارتباطا تبادل بضاعي قدر ما كان ارتباط خدمات يقدمها الريف عبر العاملين في اسرائيل وفي قطاعات مختلفة بحيث اصبحت دورة التبادل تتمثل في الشكل التالي (خدمات - نقد - بضاعة) بدلا من الدورة العادية (بضاعة - نقد - بضاعة) . وقد ادى هذا الوضع الى ضعف

Digitized by Birzeit University Library

تأثير قانون القيمة على الزراعة وعملية التراكم الراسمالي في الزراعة .

ومما لا شك فيه ان هذا الانتقال بالجملة الذي تم في عام ١٩٦٨ للعمل في اسرائيل يعكس اتجاها عاما ناجما عن كون الفلسطينيون يعتمدون في معيشتهم في الاراضي المحتلة على اقتصاديات لا سيطرة لهم عليها الى حد ما ، ولا يستطيعون التأثير فيها الا بصورة غير مباشرة.

رابعا : اجراءات السلطات الاسرائيلية في مجال السياسة الزراعية :

ان القوانين الاقتصادية الموضوعية التي فرضتها عملية التبعية الاقتصادية كانت بالطبع هي العامل الرئيسي في انجاز هذه التحولات التي ادت الى تحطيم الحواجز امام التطور الرأسمالي المتسارع للقطاع الزراعي وربطه المستمر بالسوق الرأسمالي على اساس كولونيالي تابع ، بكافة النتائج المدمرة التي الحقتها هذه العملية بمصالح الفلاحين الصغار والخراب المستمر للزراعة الصغيرة واتجاه المنافسة الحادة للمنتجات الزراعية الاسرائيلية ، والحاجات الاستهلاكية المتنامية للفلاح مع تزايد نسبة التضخم وارتفاع تكاليف المعيشة وتحديد كميات المياه المتاحة للاستعمال مع تحديد انواع المنتجات ، مما دفع العديد من الفلاحين الىاهمال ارضهم او بيعها والتحول الى العمل الماجور ، اما الفلاحون المتوسطون المزارعون الاثرياء نسبيا ،الذين يستيطعون تحمل تكاليف التحول الى محاصيل جيدة ، فان المردود العالي نسبيا لهذه المحاصيل يستدرجهم الى تحويل ارضهم لانتاج المواد الخام للصناعات الاسرائيلية او مواد التصدير .

الا ان مفعول هذا القانون الموضوعي كان يعمل مترافقا مع التخطيط المتعمد للسلطات الاسرائيلية بهذا الاتجاه والاجراءات التي اتخذتها لتشجيع وتعجيل تطوره بهدف تعميق تبعيته . لذلك نلاحظ ان خطة "التطوير" التي وضعتها وزارة الزراعة الاسرائيلية بالتعاون مع الادارة المدنية (احد اجهزة الحكم العسكري) للمناطق المحتلة كان ابرز اهدافها المعلنة اعطاء الافضلية النسبية في تطوير الانتاج الزراعي لما يلي :

١) منتوجات طازجة او مصنعة للتصدير الى اوروبا.

٢) منتوجات تحل محل المنتوجات التي تستوردها اسرائيل او المحاصيل التي تحتاجها .(مع التأكيد على ان هذه المنتوجات يجب ان لا تنافس المنتجات الاسرائيلية).

٣) عبر "سياسة الجسور المفتوحة" كمنفذ لتصريف الفائض الزراعي للمناطق المحتلة .

وقد استخدمت السلطات الاسرائيلية لتنفيذ هذه السياسة كافة الوسائل المتاحة كتقديم المعونة والمشورة الفنية للمزارعين حول انتاج المحاصيل الجديدة ، توفير البذور والوسائل الاخرى اللازمة لانتاج المحاصيل ، تقديم المساعدات التشجيعية لمحاصيل التصدير ، وتوجيه سياسة الاقراض الزراعي لخدمة هذه السياسة .

كما قامت سلطات الاحتلال وفي اطار اجراءاتها في مجال السياسة الزراعية في المناطق المحتلة بسن قوانين ذات طابع اقتصادي يرمي الى تدمير البنية التحتية لهذا القطاع ومن ابرز هذه القوانين :

١) قانون تحديد المساحات المزروعة بمنتوج البندورة والباذنجان . حيث ادى اصدار مثل هذا القانون الى تقليص المساحة المزروعة مباشرة . ففي ٨٥/٨٤ تقلصت المساحة المزروعة بندورة الى ٧٥٠٠ دونم بندورة والى ٤٠٠٠ دونم باذنجان في حين انها كانت في السابق ١٣ الف دونم لزراعة البندورة و ١٨ الف دونم لزراعة

Digitized by Birzeit University Library

الباذنجان . ان هذا التناقص المتصاعد في المساحة المزروعة لهذان المحصولان ستؤدي على المدى القريب الى انتهاء زراعتها مما يترك الاثر على تردي الاوضاع المعيشة للمزارعين وفقدانهم مصدر رزقهم .

٢) امر ابعاد الاراضي الزراعية عن الشوارع الرئيسية والفرعية بما لا يقل عن مئة متر . ان تطبيق هذا القانون سوف يؤثر على المساحة المزروعة حيث يفقد المزارع انتاجية مئة متر .

٣) قامت السلطات الاسرائيلية بتحديد المساحة التي يمكن زراعتها بالحمضيات ، خاصة في قطاع غزة، نظرا لانخفاض منسوب المياه ، الا ان الذي اجبر او جعل السلطات تقوم بتحديد المساحة التي يمكن زراعتها ليس هو الانخفاض في منسوب المياه وانما السبب الاكبر هو تزايد المستوطنات الاسرائيلية حيث تقوم السلطات بضخ وخزن المياه لهذه المستوطنات .

٤) قامت السلطات الاسرائيلية بسن قوانين خاصة تمنع بموجبها المزارعين العرب من تصدير منتوجاتهم الزراعية مباشرة الى بلدان اوروبا الا عبر شركة الصادرات الزراعية الاسرائيلية (اغريسكو) وبالتالي كانت تسوق في الخارج تحت اسم اسرائيل وليس المناطق المحتلة

ان هذه القوانين والعديد غيرها تعتبر اداة في ايدي السلطات الاسرائيلية المحتلة تستطيع من خلالها انجاز مخططها الرئيسي الذي يرمي الى تدمير قاعدة القطاع الزراعي في الاراضي المحتلة والحاقه اقتصاديا بالاقتصاد الاسرائيلي .

في الخلاصة ، يعني هذا ، ان زراعتنا سارت نحو الارتباط المتزايد بعجلة الاقتصاد الاسرائيلي ، واصبح المزارعون والفلاحون تحت رحمة الشركات والمؤسسات الاسرائيلية التي تتحكم بهم وتفرض عليهم الاسعار لصلحتها . وترافق ذلك بصعوبات التصدير عبر الجسور الى الاردن والبلدان العربية .

خاتمـــة

ان التطورات الاقتصادية بين ١٩٦٧ - ١٩٨٧ في المناطق المحتلة قد انتهت الى ابتلاع شبه كامل من قبل اسرائيل لاقتصاديات المناطق المحتلة وتحولت الى سوقا لاستهلاك البضائع الاسرائيلية ، ولمد السوق الاسرائيلي بحاجته من اليد العاملة غير الفنية وهذا يعبر عن النمط التقليدي الذي تقيمه الدول الامبريالية مع مستعمراتها .

ومنذ بداية الاحتلال الاسرائيلي للمناطق المحتلة في عام ١٩٦٧ كان هناك اهمال واضح لبرامج تطوير الموارد فيما يتعلق بالارض والمياه . فان مساحات واسعة في الاراضي قد اهملت ، ومعدلات التوظيف الزراعي قد هبطت ، وتطوير المؤسسات قد اهمل ايضا . كما ترافق ذلك بعدة مشاكل تم ذكرها من خلال البحث ، وعل رأسها قلة الاسواق المسموح التصدير اليها المنتوجات الزراعية الفلسطينية بالاضافة الى ان السوق المحلي ضيق نسبيا ولا يستوعب الا كميات قليلة ، في حين ان السلطات الاسرائيلية لا تسمح بتسويق المنتوجات الفلسطينية داخل اسرائيل وتصادر اية كميات يحاول اصحابها ادخالها بلا ترخيص بينما تفتح اسواق الضفة والقطاع على مصراعيها امام المحاصيل الاسرائيلية .

وفي ظل غياب برامج تطوير كاملة قواها سلسلة من المشاريع الهادفة الى توسيع الاستفادة من الموارد ، يتساءل المرء حول الوسيلة والرؤية المستقبلية والمشاريع التي

Digitized by Birzeit University Library

تتعلق بالزراعة في المناطق المحتلة .

ان الجهود الهادفة الى تطوير القطاع الزراعي في المستقبل ، يجب ان تأخذ في الحسبان اولوية تطوير الموارد (الارض والمياه) ، تطوير المؤسسات (التسليف ، التسويق ، الابحاث) عمل زراعي تعاوني ، تجديد صناعة الدواجن ، وتطوير انتاج الثمار . ان الاهتمام بتطوير عناصر الانتاج الاساسية هذه في ظل الاحتلال وبشكل جدي ، تعتبر من اهم برامج الصمود في وجه المحتلين وخطوة نحو بناء قاعدة اقتصادية اولية للمستقبل .

وبالنتيجة فقد ادت سياسة الالحاق الاقتصادي الى تشويه اقتصاد المناطق المحتلة، اما النمو السريع الذي تتحدث عنه الاوساط الاسرائيلية ، والذي يكررها الخبراء الاقتصاديون الاسرائيليون بشكل روتيني ويكتب عنه بعض الكتاب الغربيين ، فهو نمو سطحي وخادع ، لانه ليس ناجما عن تطور قوى الانتاج في المناطق المحتلة نفسها ، بل يرتبط اساسا بانتقال هذه القوى للعمل في الاقتصاد الاسرائيلي وارتفاع نسبة العاملين في القطاعات غير الانتاجية كالتجارة والخدمات ويتمثل اساسا في ارتفاع الاستهلاك والانفاق عل البضائع الاستهلاكية المستوردة ، وفي غياب اية تنمية حقيقية في الفروع الانتاجية ، وتدني نسبة الاستثمارات بشكل عام .

المراجع المستعملة

١) الضفة الغربية وقطاع غزة في ظل الاحتلال الاسرائيلي "د" وليد مصطفى / شؤون فلسطينية العدد ١٦٢ - ١٦٣ (اكتوبر ٨٦ ، ص ١٥ - ١٧ .)

٢) الدكتور سعيد حمود - الضغوط الاقتصادية الاسرائيلية "شؤون فلسطينية" عدد ٢ ، ص٨١ .

٣) "الزراعة في الارض المحتلة" نشرة "الارض" العدد (٢٠) ٧/٧/١٩٧٩ .

٤) النشرةالاحصائية السنوية للضفة الغربية وقطاع غزة الرقم ٢ ، ١٩٨٢ ، نابلس ، جامعة النجاح الوطنية . مركز الدراسات الريفية ١٩٨٢ ، ص ٥٩ .

٥) المركز الجغرافي الاردني : الحقوق التراكمية للشعب الفلسطيني ، الاردن ، عمان ١٩٨٥ ص ١٦٨ - ١٧٣ .

٦) غسان عبد الله " الممارسات الاسرائيلية في المناطق المحتلة" ، جمعية الدراسات القدس ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

7) Administered Territories Statistical Quarterly - Volume 2 - 3 , Jerusalem, C.B.S.1981,p.71.

8) Meron Benvenisti, 1986 n Report", Demographic, economic,legal, social and political developments in the West Bank, p.8-9.

9) Van Arkadie: Venefits and Burdens, a Report on the West Bank and Gaza Strip Economics since 1967, New York, p.129.

10) The West Bank Data Project, A survey of Israelis Policies ,Meron Benvenisti", p.12.

11) Awartani, Hisham, West Bank Agriculture: A New Outlook: Al - Najah National University 1978,p.12 and Statistical Abstract of Israel 1983,p.787.

12) Dan Zakai: Economic Development in Judea - Samaria and the Gaza District, Economic Growth and Structural Change 1981 -82, Jerusalem, April 1985,p.46.

13) Hydrological Yearbook of Israel,1976 - 77, Jerusalem: Israel's Water Commission 1978.

Digitized by Birzeit University Library

مناهج اللغة العربية

هل تنمي مواهب التلاميذ الادبية؟*

محمد شريم

مفهوم المنهج

المنهج لغة:

اذا عدنا لمعرفة رأي معاجم اللغة في كلمة منهج لرأينا ان "اللسان" يقول:"طريق نهج: بين واضح.. وسبيل منهج: كنهج.. والمنهاج: كالمنهج ..."(١) وبناء عليه فاننا نستطيع ان نخلص الى نتيجة هي ان كلمة "المنهج" لغة تعني:"الطريق الواضح"(٢) والمنهاج والمنهج (بكسر الميم) في الحقيقة تعنيان الشيء نفسه.

المنهج اصطلاحا:

وانطلاقا من المعنى اللغوي لكلمة "المنهج" فاننا نستشف ان المنهج في الاصطلاح اصبحت تعني "خطة العمل ، وهو في الميدان المدرسي يشمل انواع الخبرات والدراسات التي توصلها المدرسة الى التلاميذ"(٣).

ما هو منهج اللغة العربية؟

كثيرا ما نلاحظ تباينا في تعريف شيء معين سواء كان هذا التباين واضحا جليا ام صغيرا خفيا وخاصة في ميدان التربية الذي يعتمد الى حد كبير على النظريات والاراء . وتعريف المنهج يمكن ان ينطبق عليه هذا القول ، الا اننا ومن خلال دراستنا لتعريفات

* قدمت هذه الدراسة الى المؤتمر الثاني لاتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ، الذي انعقد في مدينة القدس أواخر السنة الماضية.

Digitized by Birzeit University Library

العديدين من الذين كتبوا في هذا المجال ، نستطيع ان نضع تعريفا مشتركا لمنهج اللغة العربية على الوجه التالي: هو مجموع الموضوعات والخبرات التعليمية التي تعتمد من قبل الجهات التربوية ليصل المتعلم من خلالها الى تحقيق الاهداف التعليمية المرجوة من تعلم اللغة العربية في سن معين.

الشروط الواجب توفرها في منهج اللغة العربية الجيد:

لا يحسن صنعا من يميل كثيرا الى استخدام الاحكام "النسبية" في حديثه ، مثل :جيد ، رديء ، جميل ، دميم.. لان كل هذه الاوصاف غير متفق عليها ولا تستند الى مقياس دقيق ، وعلى العموم لا اجد بأسا في استخدام هذا التعبير للدلالة على المنهج الذي يمكننا بواسطته ان نحقق ما عزمنا على تحقيقه من أهداف.

واذا اردنا ان نضع الشروط الواجب توفرها في منهج اللغة العربية الجيد ، والتي لا ارى انها تختلف كثيرا عن الشروط الواجب توفرها في المنهج الجيد بشكل عام الا فيما يخص الاهداف اللغوية المحضة ، فيمكننا ان نضع الشروط التالية:

اولا: ان تكون اهدافه المعرفية ذات فائدة ثقافية هامة للمتعلم في حياته اليومية .

ثانيا: ان يهدف الى تربية المتعلمين تربية حضارية تقدمية تحترم شخصية الفرد وتركز على دوره الاجتماعي.

ثالثا: ان ينسجم من حيث موضوعاته وخبراته مع مستوى التلاميذ العقلي والاجتماعي والانفعالي.

رابعا: ان تكون موضوعاته متنوعة من حيث الاهداف او "الاجناس الادبية"(٤) .

خامسا: ان تكون مهمته الكبرى هي تنمية امكانيات الطالب اللغوية من قراءة وكتابة ومحادثة..

سادسا: ان تكون مادته منظمة بشكل ييسر فهمها.

سابعا: ان تجمع مواده بين المحتوى الجيد والشكل الفني الجميل(٥)

دور منهج اللغة العربية الجيد في تنمية ميول التلاميذ الادبية

ان منهج اللغة العربية الجيد ، والذي تتوفر فيه المواصفات السابقة كما اراه وكما يراه الكثيرون من المهتمين بحقلي التعليم والادب كفيل بأن ينطبع اثره على التلميذ وذلك من ناحيتين:

١) ان المنهاج الجيد يدخل اللغة لعقل التلميذ ، لانه يراعي قدرة التلميذ العقلية فيصب ما يريد ان يصل به الى التلاميذ في القالب المناسب.

٢) ان ذلك المنهج قادر على ان ينفذ الى وجدان التلميذ بما يتضمنه من محتوى يتناسب مع احتياجاته النفسية والاجتماعية.

وبهذا ينجح المنهج في ان يكون لدى التلاميذ "اتجاهات ايجابية" نحو ما نريد منهم ان يتعلموه ، و "ان من الاهمية بمكان ان يتكون لدى التلاميذ اتجاهات ايجابية نحو ما يتعلمون ، فينصرفون وهم حريصون على استخدام ما علمتهم اياه ، وعلى تعلم المزيد منه"(٦).

واذا كنا نفهم المقصود ب "استخدام ما علمتهم اياه" على انه استخدام تلك القواعد واللبنات اللغوية - والتربوية - في الحياة اليومية ، فان

Digitized by Birzeit University Library

الكثيرين من التلاميذ سيذهبون الى ما هو ابعد من ذلك ، واعني محاولة تقليد ما بين ايديهم من نصوص ادبية جميلة ، ويظهر "ذلك في ميل الناشيء الموهوب منذ الطفولة الى كل جميل من الادب والفن ومحاولة تقليده ونجاحه في ذلك ..."(٧).

وبالوصول الى هذا المرمى ، اي محاولة تقليد المقروء من الادب نكون قد وصلنا غاية ما نصبوا اليه في سبيل تنمية ميول التلاميذ الادبية ، فمرحلة "التقليد" هي المرحلة العليا التي تلي مرحلة الميل.

مدى قدرة مناهج اللغة العربية التي بين ايدينا على تنمية مواهب التلاميذ الادبية

من غير المنطقي ان نعطي هذا العنوان "الكبير" - الذي يحتاج لدراسة شاملة ضخمة حقه بالسطور القليلة التالية ، وكل ما ارمي اليه هو ايراد بعض الملاحظات التي اراها مناسبة في هذا المقام ، مع العلم انني اكتفيت بالاشارة الى مناهج اللغة العربية الخاصة بالمرحلة الاعدادية وذلك لسببين:

السبب الاول: لان المرحلة الاعدادية غالبا ما تكون هي المرحلة التي تبدأ فيها مواهب التلاميذ الادبية - وغير الادبية - بالتبلور والوضوح.

السبب الثاني: لان ما نحن بصدده الان ، لا يقصد به اجراء دراسة شافية وافية ، ومن هنا فان الاشارة الى مناهج المرحلة المذكورة كعينة من مناهجنا يفي بالغرض.

ولان خير الكلام ما قل ودل ، فان بامكاننا ان نعرف مدى قدرة مناهج اللغة العربية التي بين ايدينا - وخاصة في المرحلة الاعدادية - في مجال تنمية مواهب التلاميذ الادبية من خلال الاجابة على هذا السؤال: هل تتوفر في هذه المناهج الشروط الواجب توفرها في المنهج الجيد ام لا؟ ان الاجابة على هذا السؤال تتطلب مقارنة بين الشروط الواجب توفرها في منهج اللغة العربية الجيد والصورة التي عليها هذه المناهج ، ولان مقارنة دقيقة تتطلب منا ان نملأ الكثير من الجداول ، بل وان نطلب من اعداد كبيرة من التلاميذ تعبئة استمارات توضع لهذا الغرض ، وهذا ما لا يسمح به الوقت ولا تيسره لنا الامكانيات ، فانني ساحاول الاجابة على هذا السؤال من خلال وجهة نظري الخاصة في هذه المناهج ووجهة النظر هذه لا تنفصم عن خبرتي العملية في التعامل مع تلاميذ هذه المرحلة.

بين المنشود والموجود:

والمنشود هو منهج اللغة العربية الذي تتوفر فيه شروط المنهج الجيد.

اذا تحدثنا عن مدى تمتع مناهجنا بالشروط الواجب توفرها في منهج اللغة العربية الجيد ، فاننا سنلاحظ ان الشرط الاول ، والمتعلق بالاهداف المعرفية المفيدة للمتعلم في حياته اليومية ، يبرز احيانا كما هو الحال في النص الذي كتبه احمد امين ، ويحمل عنوان "ابتسم للحياة"(٨) ويختفي احيانا اخرى كما هو الحال في ابيات الفرزدق التي تحت عنوان "الشاعر والذئب"(٩).

ام الشرط الثاني والذي يتحدث عن تربية المتعلمين ، فانه قلما يبرز في المناهج التي نحن بصددها الان ، حتى وان كانت هذه المناهج تظهر بوضوح في كثير من الاحيان استنادها الى "الاسس الفلسفية للتربية العربية"(١٠) التي هي نفسها يتطلب بعضها النقاش. وعلى العموم فان "قلة" بروز هذا الشرط الذي يتحدث عن "تربية المتعلمين تربية حضارية تقدمية تحترم شخصية الفرد.." لا تعني انه لا يظهر اطلاقا ، بل انه يظهر ويبرز في بعض الاحيان كما هو الحال في ابيات احمد الصافي النجفي التي وردت

Digitized by Birzeit University Library

تحت عنوان "طعم الحرية" (١١) وفي النص الذي ورد تحت عنوان "الحركات التعاونية"(١٢).

واذا ناقشنا الشرط الثالث فسوف نجد ان منهاج اللغة العربية في كثير من الاحيان لا ينسجم من حيث موضوعاته وخبراته مع مستوى التلاميذ وخاصة في المجالين العقلي والاجتماعي. واسوق مثلا يخص المجال العقلي من كتاب اللغة العربية للصف الثالث الاعدادي ، حيث تضمنت قائمتا المفردات المطلوب حفظ معانيها في الوحدة الاولى فقط اربعا وخمسين مفردة اضافة الى المفردات التي غض المؤلفون الطرف عنها ، واذا عرفنا ان فرع "المحفوظات" في هذه الوحدة هو "سورة الرحمن" فاننا سوف نتساءل عن مقدار ما ابقاه الكتاب من مجهود الطالب العقلي لتستحوذ عليه الفئات الاخرى من "تصنيف بلوم للاهداف التربوية في الميدان المعرفي"(١٣) ، وسوف نلاحظ مقدار المشقة العقلية التي يعاني منها الطالب . واسوق مثلا على عدم انسجام الكثير من موضوعات المنهاج مع مستوى التلاميذ في المجال الاجتماعي ، وهو الدرس الذي تحت عنوان "البترول العربي وأهميته في حياة العرب"(١٤) المأخوذ عن "كتاب القراءة العربية ، وزارة المعارف ، قطر ، بتصرف".

وعند تطرقنا الى الشرط الرابع ، فاننا نلاحظ تنوعا في الموضوعات من حيث "الاجناس الادبية" وفق نسب تختلف من كتاب لاخر ، كما نلاحظ تنوعا من حيث الاهداف مع اننا لا نرضى الا بمناقشة طبيعة العديد من هذه الاهداف.

واذا توقفنا عند الشرط الخامس ، فلا شك في ان واضعي المنهاج قد قصدوا بالدرجة الاولى "تنمية امكانيات الطالب اللغوية..." وان كان نجاحهم في هذا المجال يعتمد ايضا على مدى توفر الشروط الاخرى..

اما الشرط السادس ، والخاص بتنظيم المادة ، فانه لا يتوفر في كثير من الاحيان ، وليس ما هو ادل على ذلك من فهرس كتاب "قواعد اللغة العربية" الخاص بالاول الاعدادي حيث ورد بين "تقسيم الجمع" والدروس الخاصة"باعراب الجمع" درس اخر ليس في موضعه المناسب هو "اعراب المثنى".

وفيما يتعلق بالشرط السابع والذي ينص على ان تجمع مواد المنهج بين المحتوى الجيد والشكل الفني الجميل ، فان هذا الشرط - على الرغم من ضرورة الالتزام به - لا يظهر دائما ، بل نجد في كثير من الاحيان ما هو عكس ذلك ، ومن الامثلة على ما اقول الابيات التي وردت تحت عنوان "الذياع"(١٥) والتي كادت ان تخلو من اي عنصر جمالي - فني حقيقي.

والى جانب هذا ، فان هنالك بعض الملاحظات التي يمكن ان يلاحظها المطلع على هذه المناهج ، ومنها:

١. قلة الاهتمام بالنشاطات الطلابية.

٢. قلة تشجيع التلاميذ على الابداع من قبل المسؤولين التربويين.

٣. تكرار بعض المواد في اكثر من منهاج ، كأبيات الفرزدق التي يتحدث فيها عن قصته مع الذئب (١٦)

٤. عدم انسجام بعض المواد وشذوذها المعنوي في الوحدة الدراسية التي وردت ضمنها ، وكمثال على ذلك قطعة الاملاء التي تتحدث عن "منارة الاسكندرية" (١٧) والتي وردت ضمن وحدة تتحدث عن "الجهاد" في معظمها.

ان ما ورد في السطور السابقة من امثلة وملاحظات تظهر افتقار مناهجنا في كثير من الاحيان الى الشروط الواجب توفرها في منهج اللغة العربية الجيد ، وتبين لنا في الوقت نفسه "قلة" مقدرة مناهج اللغة العربية التي بين ايدينا على تنمية مواهب التلاميذ الادبية ، وبالتالي ضعفها.

Digitized by Birzeit University Library

أسباب ضعف هذه المناهج:

هنالك الكثير من الاسباب التي ادت وتؤدي الى ضعف مناهجنا ، من هذه الاسباب ما يتعلق بالواقع العام ، ومنها اسباب تتعلق باجهزتنا التربوية على وجه الخصوص ، والتي يمكن ان نورد بعضها:

١) عدم غربلة هذه المناهج بشكل مستمر للتركيز على ما ثبتت جودته واستبدال ما لم تثبت جودته.
٢) عدم استيضاح وجهات نظر التلاميذ انفسهم عند وضع المناهج.
٣) تقييد المعلم بالمنهاج الرسمي بشكل مطلق.

دواء الداء:

ان معالجة الضعف الذي تعاني منه هذه المناهج اكبر من ان تكون على نطاق فردي ضيق، ولكن لان اضاءة شمعة خير من ان نلعن الظلام ، فاننا نتوقع من المعلمين ، وهم الاكثر حرصا على طلابهم ، ان يحاولوا اصلاح ما فسد بكل وسيلة يمكن اتباعها وضمن امكانياتهم وقدراتهم. وارى في اتباع ما يلي ما يساعد على بلوغ هذا الهدف:

١. تشجيع التلاميذ على ممارسة النشاطات الاضافية كاقامة الندوات والمحاضرات وعمل مجلات الحائط وغيرها..
٢. تشجيع التلاميذ على المطالعة الخارجية.
٣. تشجيع التلاميذ على محاولة الابداع.
٤. ان يتعامل معلم اللغة العربية - بل اي معلم اخر - مع تلاميذه بمرح وانشراح وسعة صدر.
٥. ان يسعى المعلم الى تشويق تلاميذه لجذب انتباههم وضمان اهتمامهم.

الهوامش

(١) ابن منظور ، لسان العرب.
(٢) المنجد في اللغة والاعلام ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة ٢٣.
(٣) عبد العليم ابراهيم ، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ، دار المعارف بمصر ، الطبعة (٧) ،ص٣٥.
(٤) د.محمد غنيمي هلال ، الادب المقارن ، دار الثقافة ودار العودة ، بيروت ، الطبعة (٥) ،ص١٣٦.
(٥) يقول هنري هازلت في دراسته "الادب والرأي" التي تضمنها كتاب "الاديب وصناعته" مع دراسات اخرى اختارها وترجمها جبرا ابراهيم جبرا ، وقد صدر الكتاب عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت عام ١٩٨٢ :"ان محاولة شطر الادب الى "افكاره" او "مغزاه الاجتماعي" من ناحية ، و"شكله واسلوبه" او "صنعته" من ناحية اخرى هي في نظري امر مغلوط . ان الادب لن يستسلم الى مثل هذا الشطر العنيف... فالاثر الادبي كل عضوي...".
(٦) انظر كتاب "مهارات التدريس" للدكتور جابر عبد الحميد جابر وزميليه ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص٤١١.
(٧) احمد الشايب ، اصول النقد الادبي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثامنة ،ص١٢١.
(٨) كتاب اللغة العربية للصف الثاني الاعدادي تأليف راضي عبد الهادي وزملائه ،ص٢٠١
(٩) كتاب اللغة العربية للصف الثاني الاعدادي ص١٦٥ وكتاب اللغة العربية للصف الاول الاعدادي تأليف راضي عبد الهادي وزملائه ص١٤٨.

Digitized by Birzeit University Library

(١٠) انظر كتاب "مقدمة في التربية" تأليف الدكتور ابراهيم ناصر ، الصادر في عمان عام ١٩٨١ ،ص٢٤٧ - ٢٤٨.

(١١) كتاب اللغة العربية للصف الثالث الاعدادي تأليف راضي عبد الهادي وزملائه ،ص٥٤.

(١٢) كتاب اللغة العربية للصف الثالث الاعدادي تأليف راضي عبد الهادي وزملائه ،ص٦٨.

(١٣) انظر كتاب "علم النفس التربوي" للدكتور فؤاد ابو حطب وزميلته، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٨٠،ص٦٤.

(١٤) كتاب اللغة العربية للصف الاول الاعدادي ص٥٧.

(١٥) كتاب اللغة العربية للصف الاول الاعدادي ص٢١٣.

(١٦) كتاب اللغة العربية للصف الاول الاعدادي ص ١٤٨ وللثاني الاعدادي ص١٦٥.

(١٧) كتاب اللغة العربية للصف الاول الاعدادي ص٢٨.

بيان

من رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديموقراطيين العراقيين

نحو تطوير نضال المثقفين دعما للانتفاضة

اصدرت رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديموقراطيين العراقيين بتاريخ ٨٨/٣/٢٤ بيانا ، دعت فيه الى دعم الانتفاضة وكذلك الكتاب والمثقفين الفلسطينيين في داخل الارض المحتلة . كما اهاب البيان بالمثقفين العرب بضرورة القيام بصيغة عمل مشتركة ومتكاملة تؤدي الى تعبئة الرأي العام العربي وراء الانتفاضة وتوفير الدعم المادي والادبي لمثقفي الارض المحتلة الصامدين في وجه الاحتلال والاتصال بالاوساط الثقافية العالمية لتصعيد حملة الاحتجاج ضد ممارسات الاحتلال .

وجاء في البيان انه كخطوة اولى في هذا الاتجاه قررت رابطتنا تشكيل لجنة دعم وتضامن مع الانتفاضة ومثقفيها تتولى المهام الاتية:

١. اقامة اسابيع ثقافية للتضامن.

٢. البحث في وسائل الدعم المادي والادبي للانتفاضة.

٣. اصدار ملصقات فنية مكرسة للمناسبة.

٤. الاتصال بالمثقفين العرب للتنسيق معهم في اشكال التضامن والدعم المتاحة تمهيدا للوصول الى صيغة العمل المشترك يحدونا في ذلك طموح الى ان تكون مبادرتنا هذه مقدمة لمبادرات اخرى يقوم بها زملاؤنا في سائر الاقطار العربية .

وجاء في البيان ايضا:"ان المثقف النزيه لا شيء عنده يخاف عليه الفقدان سوى رصيده الوطني. وعليه تقع مسؤولية خاصة امام الجماهير التي يراد تغييب ارادتها ، واعتقال وعيها في الهموم الهامشية".

Digitized by Birzeit University Library

* أيار العمال المجيد *

تحتفل الطبقة العاملة العالمية في مطلع هذا الشهر بعيد العمال العالمي ، يوم التضامن الاممي بين جميع عمال العالم ، والطبقة العاملة الفلسطينية تحتفل ايضا بهذا اليوم المجيد معربة عن تضامنها اللامحدود مع شقيقاتها على مستوى العالم اجمع. واذا كانت الطبقة العاملة الفلسطينية تؤكد على اهمية هذا اليوم ، فانها في الوقت نفسه تعبر عن مدى تطلعها لوحدة الحركة النقابية في بلادنا ، وهي بهذا اليوم تناشد جميع الحركات النقابية العالمية ، لضرورة التضامن معها ومع مجموع شعبنا الفلسطيني في وجه الاحتلال الاسرائيلي ، الذي يمارس شتى انواع القمع والاضطهاد ، والتي تمثلت باغلاق العديد من النقابات العمالية الكفاحية كما حدث في طولكرم ، رام الله ، سلفيت وقلقيلية لمدة سنتين بالاضافة الى اعتقال العديد من القادة النقابيين.

وبهذه المناسبة المجيدة تتقدم هيئة تحرير مجلة "الكاتب" باحر التهاني لجميع العمال في العالم ، والى طبقتنا العاملة الفلسطينية وعموم الشعب الفلسطيني ، متمنية ان يحل العيد القادم وقد حقق شعبنا استقلاله الوطني وبناء دولته الوطنية المستقلة .

* * * * * * * *

الاصل التاريخي للاول من أيار:

بقلم جون مانتغ

بالرغم من ان وسائل الاعلام الأمريكية التي يسيطر عليها رأس المال الكبير تستخدم كافة الوسائل المتاحة لحجب الحقيقة عن العمال الامريكيين الا ان الأصل التاريخي لليوم الدولي للعمال يعود الى النضال المرير الذي خاضته نقابات الولايات المتحدة من اجل العمل ٨ ساعات يوميا ، بمساندة الاتحاد الأمريكي للعمل انذاك ، الذي اصبح اليوم الاتحاد الأمريكي للعمل – مؤتمر

Digitized by Birzeit University Library

لمنظمات الصناعية .

وهذا النضال بالذات هو ما حاول ارباب العمل الأمريكيون القضاء عليه بمذبحة هايماركت في شيكاغو ، بمحاكمة قادة الاضراب : البير بارسونز ، واوغوست سبايسي ، والفونس فيشر ، وجورج انغل ، وتنفيذ حكم الاعدام بحقهم وفيما بعد اقترح الاتحاد الأمريكي للعمل ورئيسه الأول صامويل غومبرز على الرابطة الدولية للعمال ان يصبح اول ايار / مايو اليوم الدولي للعمال واسفر طلب مساندة الاضراب العام الذي دعا اليه الاتحاد الأمريكي للعمل في عام ١٨٩٠ ، من اجل العمل ٨ ساعات في اليوم عن صدور قرار جعل اول ايار / مايو عيدا لعمال العالم اجمع .

اضراب من اجل العمل ٨ ساعات في اليوم

في اول ايار / مايو ١٨٨٦ * ، قرر عمال اهم المراكز الصناعية في الولايات المتحدة ـ وعددهم ٣٥٠ الف عامل ـ التوقف عن العمل وخوض اضراب من اجل تخفيض ساعات العمل الى ٨ ساعات في اليوم كحد اقصى ، بدلا من العمل ١٢ الى ١٤ ساعة كما كان ارباب العمل يريدون ان يفرضوا ذلك عليهم في ذلك الوقت . ووفقا للمعلومات المتوفرة عن تلك الحقبة حدثت اضرابات في ١١٥٦٢ منشأة وتظاهر ١١ الف عامل في شوارع ديترويت و ٢٥ الفا في نيويورك من اجل العمل ٨ ساعات في اليوم .

وفي شيكاغو وحدها اضرب ٤٠ الف عامل وحصل ٤٥ الفا اخرين على تخفيض ساعات العمل دون اللجوء الى الاضراب . وتمت الاستجابة في اول ايار / مايو او في الأيام التالية لمطالب ١٨٥ الفا من بين ٣٥٠ خاضوا الاضراب . وقامت هذه النضالات ايضا بدور حاسم في تخفيض ساعات حوالي ٢٠٠ الف عامل اخر من ١٢ ساعة او اكثر الى ٩ او ١٠ ساعات . وفي العديد من المهن التي كان عمالها يشتغلون ما بين ١٤ و ١٦ ساعة عمل ، خفضت ساعات العمل الى ١٢ ساعة .

مذبحة « هايماركت » والمؤامرة المدبرة

غير ان رد فعل ارباب العمل كان عنيفا ، ففي شيكاغو ، مركز الانتفاضة العمالية ، تمت تعبئة اعداد كبيرة من رجال الشرطة والحرس القومي « والبنكرتونز » (وهم عملاء لأرباب العمل مسلحون) . فقد اغلقت شركة ماكورنيك هارفستر ابواب مصانعها على اثر اضراب عمالها البالغ عددهم ١٤٠٠ من اجل العمل ٨ ساعات والحصول على اجرة قدره دولارين في اليوم كحد ادنى . وفي ٣ ايار / مايو دخل المصنع ٣٠٠ من محطمي الاضرابات بمصاحبة حوالي ٥٠٠ من رجال الشرطة وعندما عبر العمال عن احتجاجهم بالتظاهر ، اطلقت الشرطة النار على جمهور العمال العزل ، مما اسفر عن مقتل اربعة عمال واصابة عدد كبير منهم .

وعلى اثر ذلك قرر عمال شيكاغو تنظيم مظاهرة في اليوم التالي في ساحة « هايماركت » (ساحة سوق العلف) .

وجرى الاجتماع الذي شارك فيه ٣ الاف شخص في هدوء ونظام ، بل ان عمدة المدينة الذي صرح بعقده جاء لحضوره . ولكن عندما اقترب الاجتماع من الانفضاض ، بعد مغادرة العمدة وعدة شخصيات اخرى ، وبينما كان المطر يدفع الحاضرين الى ترك المكان ، تقدمت مجموعة من رجال الشرطة باتجاه الجمهور ، فاذا بقنبلة تلقى على رجال الشرطة فيقع عدد منهم صرعى . وعندئذ اطلقت الشرطة النيران وقتلت عددا كبيرا من المتظاهرين .

ولم يعرف ابدا من الذي القى القنبلة . واقر القاضي غاري الذي راس المحاكمة التي انتهت بأعدام « شهداء هايماركت » بان المذنب كان على الأرجح المدعو شنوبلت ، وهو عميل استفزازي تابع للشرطة القى القبض عليه مرتين ولكن اطلق سراحه في كل مرة . حيث غادر البلاد .

عمال العالم يحتجون

وفي الشهور التي امتدت بين اول ايار / مايو وتنفيذ حكم الاعدام بحق قادة الاضراب من اجل ٨ ساعات عمل ، اصبحت محاكمتهم قضية عالمية .

فقد احتج العمال البريطانيون في العديد من الاجتماعات ضد « الاغتيال

Digitized by Birzeit University Library

المخطط لقادة العمال » . ووجه فريق من مجلس النواب الفرنسي ، ومجلس بلدية باريس ، ومجلس مقاطعة السين برقيات احتجاج لحكومة ولاية ايلينوا .

ونظم العمال اجتماعات عامة في فرنسا وهولندا وروسيا وايطاليا واسبانيا ، وساهموا ، رغم ضآلة اجورهم في صندوق الدفاع عن المتهمين في قضية هايماركت .

غير ان ارباب العمل الامريكيين كانوا قد عقدوا العزم على التخلص من هؤلاء الرجال . وقد صرح احد رجال الصناعة في شيكاغو آنذاك قائلا : « لا اعتقد ان هؤلاء الناس قد ارتكبوا اي مخالفة ولكن يتعين ان يشنقوا ... ويجب ان تسحق الحركة العمالية » (**)

وقد اعدم شنقا كل من بارسونز ، وسبايز ، وفيشر ، وانغل في ١١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٨٨٧ .

قمع وهجوم مضاد يشنه العمال

وعلى اثر احداث هايماركت شن ارباب العمل الامريكيون ، وبالاستعانة بالاخص ببطش الشرطة ، حملة واسعة النطاق للقضاء على مكاسب الحركة المطالبة بتخفيض ساعات العمل . وبالرغم من اعمال القمع نجح العمال في غضون عامين في اعادة تنظيم صفوفهم واستعدوا لشن هجوم مضاد .

فقد قرر مؤتمر الاتحاد الامريكي للعمل الذي انعقد في عام ١٨٨٨ ان يركز كل العمال المنظمين في صفوف النقابات كافة جهودهم من اجل تحقيق نظام العمل ٨ ساعات في اليوم ، في اول مايو ١٩٩٠ . وقد نظمت اربعة ايام نضالية واجتماعات عامة ضخمة في كافة انحاء البلاد من اجل العمل ٨ ساعات في اليوم ، وبلغت الحركة ذروتها بتنظيم اضراب عام في اول مايو ١٨٩٠ .

وفي اوربا ، حظى نضال العمال الامريكيين من اجل العمل ٨ ساعات في اليوم بمساندة واسعة النطاق ، ونظمت المنظمات العمالية في انجلترا وفرنسا والمانيا وغير ذلك من البلدان مختلف الاعمال من اجل دفع تلك الحركة . وكان الاتحاد الامريكي للعمل مدركا لاهمية هذه الحركة الدولية .

فقد كتب الاتحاد في مطبوعاته مثلا : " مع انه لم يعد هناك تنظيم دولي (xxx) الا انه من الواضح انه توجد حركة دولية تسير في هذا الاتجاه . فحتى في المانيا ، تمت المطالبة بـ ٨ساعات عمل في اضراب شارك فيه حوالي مئة الف عامل .. وفي انجلترا ، حصل العمال فعلا على قصر ساعات العمل على تسع ساعات ونصف ، وهم يطالبون بتخفيض جديد يؤدي الى العمل ٨ ساعات . وتتشكل حركة مماثلة في فرنسا وبلجيكا ".

نداء الاممية الثانية :

وفي العام التالي ، عندما قررت الاممية ــ التي تم تعديلها تحت قيادة فردريك انجلز ــ عقد المؤتمر التأسيسي للاممية الثانية في ١٤ تموز / يوليو ١٨٨٩ ــ في الذكرى المئوية للاستيلاء على سجن الباستيل ، عرض على المؤتمر طلب صموديل غومبرز ، رئيس الاتحاد الامريكي للعمل ، بأن يكون يوم اول مايو مناسبة للالتقاء والتجمع ، ويوم عطلة لعمال العالم اجمع . وقد تقدم المندوب الفرنسي لافييني بمشروع قرار المؤتمر باريس يساند اقتراح غومبرز واتخذ المؤتمر القرار التالي :

" ستنظم مظاهرة دولية كبرى في جميع البلدان وكافة المدن في موعد محدد حتى تتمكن الجماهير الكادحة من تقديم طلبها للسلطات العامة بتخفيض ساعات العمل بمقتضى القانون الى ٨ ساعات .. ". ويستطرد القرار قائلا : " ولما كان الاتحاد الامريكي للعمل قد اختار يوم اول مايو ١٨٩٠ ، فسيجرى

Digitized by Birzeit University Library

انتقاء هذا التاريخ للاحتفال للمرة الاولى بهذا اليوم الدولي ".

غير انه مع اقتراب يوم اول مايو، قرر صمويل غومبرز، انه من الافضل، من باب الحذر، الا ينظم اضراب عام، بل دعوة النقابة او النقابات الاشد نفوذا للقيام باضراب على ان تساندها النقابات الاخرى، آخذا بذلك بعين الاعتبار الفقرة الاخيرة من بيان باريس الذي اكد على " ان عمال مختلف البلدان يتعين عليهم تنظيم تلك المظاهرة وفقا للظروف الخاصة بكل بلد ". وقد قرر مجلس الاتحاد الامريكي للعمل، بعد التصويت ان تقوم نقابة عمال التجارة بالاضراب .

١٨٩٠ : اول يوم عالمي للتحرك العمال المشترك

كانت التعبئة الدولية في اول مايو / آيار ١٨٩٠ ايذانا بأول يوم عالمي للاعمال المشتركة للعمال في العالم . وقد شارك عشرات الالاف من العمال في المظاهرات التي جرت في المانيا، وانجلترا، واستراليا، والنمسا، وشيلي ، وكوبا، والدانمارك، والولايات المتحدة، وفرنسا، وهولندا، والمجر، وايطاليا، وبيرو، وسويسرا .

وفي الولايات المتحدة سار ٣٠٠ الف عامل في شوارع شيكاغو تحت اشراف مشترك للاتحاد الامريكي للعمل والحزب العمالي الاشتراكي. وشارك حوالي مئة تنظيم نقابي في الموكب الذي نظمه ٦ الاف من عمال التجارة. وفي نيويورك شاركت ٧٠ منظمة نقابية في تظاهرة اول مايو .

وحقق عمال التجارة نجاحا كان يبدو آنذاك ضربا من المستحيل . فقد حصل ٤٦١٩٧ عامل في ١٣٧ مدينة على العمل ٨ ساعات في اليوم، وحصل ٣٠ الف عامل على تخفيض لساعات العمل من ١٠ الى ٩ ساعات، وانضم ٢٢ الف عضو جديد للنقابة مما استدعى انشاء ١٣٢ وحدة نقابية محلية جديدة. وانتزعت نقابات اخرى بعض المزايا في مجالي الاجور وساعات العمل .

وقد كتب صمويل غومبرز يقول في خطاب له في تلك الأيام « ان مظاهرات عمال اوربا انما تثبت الطابع العالمي لحركتنا وتلقي بصيصا من الامل على امكانية تحقيق حلم الشاعر في يوم من الأيام ، وهو « البرلمان الانسانـــي » و « اتحاد العالم » .

٩١ سنة بعد ذلك

ولما كان صبت الاتحاد الامريكي للعمل قد غدا عظيما في تلك الحقبة فقد تم اختيار صمويل غوبرز فيما بعد سكرتيرا للاممية الثانية . وكتب غومبرز يقول لألينور ماركس ـ افلنغ ، وهو يقبل هذا الشرف باسم الاتحاد الأمريكي للعمل : « ان هذه الحركة ، وتطلعات العمال تتجه نحو تحالف دولي اوثق يبلور اعز امال العمال ورفاهتهم وتحريرهم النهائي ويسهم في تحقيق تلك الآمال » .

غير ان غومبرز تخلى بعد ذلك عن مواقفه واتبع خطا اميل الى المواقف المحافظة ، وكان اضراب ١٨٩٠ اخر تعبئة قومية كبرى دعا اليها الاتحاد الامريكي للعمل ، على مدى حوالي قرن من الزمن .

ففي ١٩ ايلول / سبتمبر ١٩٨١ ، وتحت ضغط شديد مارسته المنظمات النقابية القاعدية ، نظم الاتحاد الامريكي للعمل ـ مؤتمر المنظمات الصناعية ، مظاهرة هائلة في واشنطن ضد السياسة الاقتصادية التي تنتهجها ادارة ريغان ، وضد هجماتها المناهضة للحركة النقابية . وفي هذا اليوم ، وفي ظل الأزمة الخطيرة التي يعاني منها العمال الأمريكيون ، تجمع في واشنطن نصف مليون من النقابيين والمتعاطفين معهم ، تلبية لدعوة الاتحاد ليثبتوا لسادة البيت الأبيض ان الحركة النقابية الأمريكية التي تضم ملايين من الاعضاء يمكن ان تكون قوة لها نفوذها عندما يتولى قادتها عملية تعبئتها .

Digitized by Birzeit University Library

ملاحظة :

(*) جميع المعلومات الخاصة بتلك الحقبة من تاريخ الحركة العمالية الأمريكية والواردة في هذا المقال مأخوذة عن كتاب « تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة » لفيليب فونر (المجلدان الأول والثاني) ، وكذلك عن مؤلف وليام فوستر « تاريخ النقابية العمالية » .

(* *) هنري دافيد « تاريخ قضية هليماركت » ، وقد اورد ذلك فيليب فونر في المجلد الثاني من مؤلفه المذكور اعلاه .

(* * *) على اثر موجة القمع في اوربا التي اعقبت هزيمة كومونة باريس في عام ١٨٧١ وابادة الاف العمال الذين دافعوا عنها ، تم نقل مقر الرابطة الدولية للعمال او « الاممية الأولى » من اوربا الى الولايات المتحدة في سنة ١٨٧٣ غير ان اعضاء الأممية الأولى قرروا حلها في فيلادلفيا في سنة ١٨٧٦ ، « على ان يعاد بناؤها من جديد في فرصة مواتية » بسبب الكساد الاقتصادي الفظيع الذي عانته الولايات المتحدة من سنة ١٨٧٣ حتى سنة ١٨٧٨ ، وتصفية النقابات التي صاحبت ذلك .

- عن مجلة

" اتحاد النقابات العالمي" -

Digitized by Birzeit University Library

في بيان مشترك صادر عن

اتحاد النقابات العالمي والاتحاد العام لنقابات العمال في

الضفة الغربية

دعوة جميع النقابات في العالم ،

على مختلف انتماءاتها

الى تصعيد حملة دعم عمال فلسطين وشعبها

براغ - اصدر اتحاد النقابات العالمي والاتحاد العام لنقابات العمال في الضفة الغربية بيانا مشتركا عن نتائج مباحثات وفديهما التي جرت ، مؤخرا ، في براغ. ودعا البيان جميع النقابات في العالم ، على مختلف انتماءاتها ، الى تصعيد حملة التضامن مع اهداف الانتفاضة.

وجاء في هذا البيان المشترك:

"زار وفد من الاتحاد العام لنقابات العمال في الضفة الغربية مقر اتحاد النقابات العالمي في الفترة ما بين ١٨ و ٢١ نيسان ١٩٨٨ ، وذلك تلبية لدعوة من سكرتارية اتحاد النقابات العالمي ، وكجزء من حملة تضامن الاتحاد مع انتفاضة شعب وعمال فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين .

"وقد اجتمع الوفد الزائر مع وفد من سكرتارية اتحاد النقابات العالمي برئاسة ابراهيم زكريا ، الامين العام ، فاعرب عن شكره للاتحاد العالمي على حملة التضامن التي ينظمها مع الانتفاضة ولا سيما مع العمال ومنظماتهم النقابية في الضفة الغربية وقطاع غزة . واستعرض باسهاب الوضع في المناطق الفلسطينية المحتلة وسياسة واجراءات القمع والارهاب ومحاولات الابادة التي تمارسها سلطات الاحتلال الاسرائيلية ، لا سيما ضد العمال الفلسطينيين الذين يشكلون قوة اساسية في الانتفاضة .

"وتحدث الوفد عن عمليات الاعتقال والسجن والتعذيب الواسعة النطاق التي يتعرض لها القادة النقابيون والعمال وعن قرارات اغلاق مقرات النقابات وتحريم نشاطها ومنعها من القيام بواجبها . واشار بشكل خاص الى عمليات القمع التي تخص بها سلطات الاحتلال الاتحاد العام لنقابات العمال في الضفة الغربية والنقابات العمالية في قطاع غزة ، حيث جرى اعتقال اكثر من نصف اعضاء قيادة الاتحاد ، وصدرت اوامر عسكرية باغلاق مقرات نقابات (رام الله ، طولكرم ، قلقيلية ، سلفيت) وتحريم نشاطها لمدة سنتين . وتم تقديم عدد من قيادة الاتحاد الى المحاكمة ، وتعرض عدد اخر منهم للاعتقال الاداري . كما صدر امر عسكري بابعاد احد قادته الاخ عدنان داغر عضو مجلس الاتحاد من المناطق المحتلة . وثمة دلائل تشير الى عزم

Digitized by Birzeit University Library

سلطات الاحتلال على توسيع نطاق سياسة الابعاد لتشمل المزيد من المناضلين النقابيين .

"واكد ابراهيم زكريا ، مجددا ، تضامن اتحاد النقابات العالمي الكامل مع النضال البطولي الذي يخوضه الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة وادانته لكافة الممارسات الاسرائيلية الوحشية التي تتم بدعم من الادارة الامريكية . كما اعرب عن تأييده لاهداف النضال الوطني الفلسطيني من اجل انتزاع حقه في تقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة . وابلغ الوفد الزائر باعمال التضامن الملموسة التي قام بها اتحاد النقابات العالمي وتعاونه مع مختلف المنظمات النقابية الوطنية والاقليمية في تجنيد اوسع حملات التضامن النقابي العالمي مع عمال الضفة الغربية وقطاع غزة ومنظماتهم النقابية . وابدى استعداد الاتحاد لتقديم المزيد من الدعم لهم كما ابلغهم بالحملة التي ينظمها الاتحاد من اجل جمع التبرعات العينية والمالية في مختلف بلدان العالم دعما لنضالهم .

"واشار الطرفان الى ان تفاقم جرائم السلطات الاسرائيلية التي تطال الشعب الفلسطيني في مواقعه كافة والتي تؤكدها مجددا جريمة اغتيال المناضل الفلسطيني ابو جهاد واستمرار سياسة القتل والسجن والاعتقال والابعاد والتجويع والتعذيب والعقوبات الجماعية ومنع التجول وتدمير المنازل وكسر العظام التي تمارسها سلطات الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة في محاولتها لارغام الشعب الفلسطيني على القبول بمشاريع تصفية قضيته العادلة وحرمانه من حقوقه الوطنية الثابتة تتطلب بالمقابل تكثيف حملة التضامن العالمية مع عمال شعب فلسطين . اذ انه رغم تصاعد اعمال الاحتجاج واتساع نطاق اعمال التضامن الا انها لم تصل بعد الى مستوى الاحداث التي تعيشها الاراضي الفلسطينية المحتلة وخطورتها. لذا يتوجه الطرفان بنداء حار الى نقابات العالم كافة على مختلف انتماءاتها من اجل تصعيد حملة التضامن السياسية مع اهداف الانتفاضة ومن اجل مد يد المساعدة الى عمال وشعب فلسطين وبشكل خاص جمع التبرعات العينية والمالية واستقبال الجرحى والمصابين وعلاجهم.

"وقد جرت المباحثات في جو ودي واعرب الطرفان عن رغبتهما في تطوير علاقاتهما لما فيه مصلحة قضية الشعب الفلسطيني العادلة ونضال العمال في المناطق الفلسطينية المحتلة".

- عن صحيفة "الاتحاد" -

Digitized by Birzeit University Library

التراث الحضاري المنهوب

لدول العالم الثالث

د.عبد القادر حسين ياسين

في الاول من شهر اب الماضي افردت صحيفة "فرانكفورتر الجماينة تسايتونج"، صحيفة النخبة في المانيا الغربية ، صفحة كاملة من ملحقها الثقافي للحديث عن "اختفاء" بوق صيد زائيري مصنوع من العاج من "متحف تاريخ الشعوب" في فرانكفورت. ولم يكلف احد من "النخبة" الالمانية نفسه عناء السؤال، كيف وصل هذا البوق الى فرانكفورت؟

طوال مئات السنين امتدت ايادي الاوروبيين الى الدول النامية ، في اسيا وافريقيا واميركيا اللاتينية ، ليأخذوا ما ينال اعجابهم من الاثار والكنوز الحضارية . ففي الوقت الذي تمتلىء فيه المتاحف الاوروبية بالاثار الفنية النادرة التي سرقت من الدول التي كانت خاضعة للسيطرة الاستعمارية ، نجد ، من جانب اخر ، ان الدول النامية في العالم الثالث تفتقد الشواهد والوثائق المادية الهامة التي تعبر عن تراثها وتاريخها الحضاري الذي يمتد عبر الاف السنين.

في شهر ايلول الماضي عقد اجتماع في مقر منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) حول ضرورة اعادة الكنوز الاثرية المسروقة الى اصحابها الشرعيين. وكان النقاش حول هذا الموضوع قد احتدم غير مرة في اروقة الامم المتحدة ، و "اليونيسكو" ولكنه لم يجد اي صدى في الدول الاوروبية ، المالكة الحالية لهذه الكنوز الحضارية.

مكان غير طبيعي

ان السؤال الذي يطرح نفسه هو : اليست هذه الاثار العملاقة من الكنوز والشواهد الحضارية والاعمال الفنية المعبرة عن تاريخ الشعوب الموجودة في المتاحف الاوروبية هي في مكانها غير الطبيعي؟ لقد نقلت هذه الاثار من وطنها الام في عهد الهيمنة الاستعمارية وباسلوب لا اخلاقي. لقد اصبحت السياسة الاستعمارية جزءا من الماضي ، ولو بصورة شكلية على الاقل ، ولكن ظروف الاقتصاد الاستعماري لم تزل حتى يومنا هذا تحدد طبيعة النظام الاقتصادي العالمي. ان قواعد و "نظام" الاستعمار في القطاع الثقافي لم تلغ تماما ، على الرغم من ان القضاء على

Digitized by Birzeit University Library

الاستعمار في هذا المجال يعتبر كـ "لعب الاطفال" بالمقارنة مع الجانب الاقتصادي.

هنالك كنوز حضارية من دول العالم الثالث كافة معروضة في "فترينات" المتاحف الاوروبية. ومنذ نحو عشر سنوات بدأت المطالبة باسترجاعها ، وكانت الدول الافريقية في مقدمة المطالبين. لقد عاملت الدول الاستعمارية الاوروبية شعوب العالم الثالث معاملة العبيد ، وانتهكت حق الملكية ، ذلك الحق الذي تقدسه عندما يطبق على الاوروبيين. فكان الاوربيون يأخذون كل ما ينال اعجابهم من الدول المستعمرة (بفتح الميم) ، والاثار المعروضة في المتاحف الاوروبية خير دليل على ذلك .

عندما توجه نابليون مع جحافله الجرارة الى مصر ، جند في الوقت نفسه مجموعة من العلماء والباحثين والمؤرخين للتنقيب في المعابد والاهرامات وقبور الفراعنة ، وذلك للحصول على كنوز هائلة من حضارة اصبحت في "زاوية النسيان". فنقلوا الى باريس كل ما هو ثمين. وعندما وضع الاوروبيون حدا للمغامرة النابليونية ، استعادوا كنوز بلادهم. اما تلك الكنوز التي نهبت من دول "ما وراء البحار" فقد بقيت في باريس ، اذ كيف يمكن لدولة ضعيفة مثل مصر ، في ظل العهد العثماني ، ان تحمي نفسها من الجشع الفرنسي؟

يسرقون بالتناوب

قام الانجليز بطرد الفرنسيين من مصر وفرضوا سيطرتهم الكاملة على البلد طوال قرن ونصف القرن . ان جميع الاثار العريقة في القدم التي جمعها الفرنسيون خلال سنتين من احتلالهم ، وكدسوها في معهد الاستشراق في القاهرة ، انتقلت في العام ١٨٠١ من ايدي الجيش الفرنسي الى المحتلين الجدد. وهذه الكنوز التي اريد لها ان تزين متحف "اللوفر" في باريس انتقلت بكاملها الى "المتحف البريطاني" وكأن هذا الامر مسألة بديهية. ومن الجدير بالذكر ان الفرنسيين والانجليز خلفوا وراءهم مجموعة مدنية ولكنها لا تقل غطرسة وجشعا عن قوى الاحتلال السابقة ، تلك المجموعة المكونة من الباحثين والمؤرخين وعلماء الاثار . لقد استغل هؤلاء قناع البحث العلمي والتنقيب ليواصلوا سرقة ما تقع عليه ايديهم من كنوز حضارية طوال عشرات السنين . وكان الفرنسيون والانجليز في مقدمة هذه المجموعة ، ثم دخل الالمان هذا الميدان فيما بعد وتلاهم الاميركيون . وقد وظف هؤلاء "الباحثون" كل السبل العلنية والخفية ليواصلوا سرقاتهم ، خاصة وان مصر كانت ترزح تحت السيطرة العثمانية من جهة ، وفي ظل الاحتلال البريطاني المباشر من جهة اخرى. وكان "الباب العالي" ضعيفا جدا ، كما كان من السهولة بمكان الضغط على السلطان لتبرير تلك السرقات.

وعلى الرغم من استمرار السيطرة الاجنبية على مصر ، فقد اخذ الجهاز الاداري المصري يضع الصعوبات والعراقيل امام نقل الكنوز الاثرية الى الخارج ، وبذلك تسنى لمصر ان تحافظ على جزء كبير من كنوزها الاثرية. واستمرت هذه السرقات حتى عام ١٩٥٢ عندما اطاحت ثورة ٢٣ تموز بالنظام الملكي.

وفي ظل ظروف مشابهة لما ذكرناه تمكن الاوروبيون من نقل اثار بكاملها. فالفرنسي باول بوت والبريطاني هنري لانداو والعديد من الباحثين الاخرين اغنوا متحف اللوفر والمتحف البريطاني باثار عظيمة من حضارات السومريين والبابليين والاشوريين. فمن نينوى فقط انتقلت اكثر من عشرين الف لوحة مكتوبة الى لندن لتستقر في المتحف البريطاني . ومن نافلة القول ان نينوى و "بلاد ما بين النهرين" لم تكن خالية من البشر عندما جرت فيها

Digitized by Birzeit University Library

الحفريات واعمال التنقيب. بل كانت ترزح تحت السيطرة العثمانية. واليوم يستطيع العراقيون والسوريون والفلسطينيون والمصريون مشاهدة بعض كنوزهم الاثرية في متاحف اوروبا ومعارضها.

مسلة حمورابي

تعتبر "مسلة حمورابي" من اعظم كنوز "اللوفر"، ان لم تكن اعظمها على الاطلاق. وقد عثر عليها الفرنسي جاك دي مورغان، ونقلت الى باريس لتكون "شاهد على عظمة حضارة بلاد ما بين النهرين" في عام ١٩٧٩ قام ريموند بار، رئيس الوزراء الفرنسي بزيارة رسمية الى العراق، واثناء المحادثات التي اجراها مع المسؤولين العراقيين طلب زيادة حجم الكمية التي يزود بها العراق فرنسا من النفط. وعندما طلب اليه مسؤول عراقي ان تعيد فرنسا "مسلة حمورابي" فوجيء ريموند بار بالطلب ووعد ب "دراسة الموضوع مع الجهات المعنية".

لقد كان الشرق، على مر العصور، مهدا للديانات والحضارات القديمة، وقد اثبتت الحفريات الاثرية، بما لا يدع مجالا للشك، ان العديد من الحضارات قد قامت وازدهرت في هذا الجزء من العالم. ولكن المرء لا يجد الان تلك الشواهد العملاقة لذلك الماضي العريق الذي يعتبر بحق تراثا للبشرية جمعاء. فهذه الاثار موجودة في المتاحف الاوروبية. ومن اروع تلك الاثار "بوابة عشتار" التي نقلها علماء الاثار الالمان في العهد العثماني من وادي الرافدين الى برلين.

في الدليل السياحي (المطبوع على ورق مصقول وبطباعة متقنة) الذي يوزعه قسم الاثار الشرقية في متحف "اللوفر" يقرأ المرء،" لقد نظم الفرنسيون والبريطانيون البحوث الاثرية وقاموا بالمحافظة على التماثيل القديمة في دول الشرقين الادنى والاوسط التي كانت تحت الوصاية". وهكذا ندرك ان "الوصاية" لم تنس مصالح متحفي اللوفر والبريطاني.

تراث الشرق الاقصى

والشرق الاقصى لم ينج بدوره من السرقات. فقد تعرضت الصين مرات عديدة الى الحملات العسكرية الغربية التي رافقتها حملات سرقة واسعة، وخاصة في المدينة المحرمة (المنطقة التي كان يقيم فيها الاباطرة في العاصمة الصينية. بكين). وقام اعضاء البعثات الاثرية من مختلف الجنسيات الاوروبية، وفي مقدمتهم الفرنسيون والبريطانيون والالمان، بالتجوال في الصين بحثا عن اثار الحضارات القديمة حسب اهوائهم. وبكرم تقليدي فتح الرهبان البوذيون ابواب مكتبات معابدهم القديمة على مصاريعها، بعد ان كانت موصدة طوال قرون عديدة، فقام "الضيوف" باخلائها. وكان البريطاني هنري شتاين ضارب الرقم القياسي في النهب، اذ حمل معه ستة الاف مخطوطة من التبت واختاما اسطوانية من منشوريا ولوحات فنية من منغوليا، وهي موجودة اليوم في المتحف البريطاني. ولم يكن الفرنسي باول بليث اقل نشاطا من زميله البريطاني حيث تعرض اليوم الاثار والمخطوطات التي "اصطادها" في "متحف غومية" الباريسي، وفي "المكتبة الوطنية". ففي هذا المتحف يشاهد المرء لوحات جدارية ملونة رائعة الجمال يبدو انها اقتطعت من لوحات جدارية ضخمة، و "عثر" الالمان على اثار على جانب كبير من الاهمية يجدها المرء اليوم في متحف برلين.

وفي متحف "اللوفر" ثمة مجموعة كبيرة من التماثيل والجداريات والمخطوطات النادرة التي نقلها الفرنسيون من كمبوديا اثناء احتلالهم لهذا البلد. وفي قسم "الحضارات الاسيوية" في

Digitized by Birzeit University Library

متحف غومية يشاهد المرء تماثيل ولوحات بوذية من فيتنام ولاوس.

ولم تقف بريطانيا موقف المتفرج. فقد سرق البريطانيون بدورهم كنوزا نادرة من دول اسيا وافريقيا ، وخاصة من الهند ونيجيريا ، فعندما "اكتشف" الانجليز افريقيا (ينسى علماء الاثار الانجليز او يتناسون ، انه عندما كانت الامبراطورية البريطانية تسبح في بحر الظلمات كانت في افريقيا حضارة عريقة على جانب كبير من التقدم) سرقوا جميع الاثار التي عثروا عليها. وفي المتحف البريطاني نجد اليوم نفائس نادرة من الاقنعة والتماثيل والمنحوتات العاجية الافريقية .

هل يمكن اعادة ما سلب؟

منذ عشر سنوات بدأ التفكير بضرورة اعادة بعض الكنوز الحضارية التي سرقت في عهود السيطرة الاستعمارية الى مواطنها الاصلية . ففي العام ١٩٧٣ اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارا - بمبادرة من زائير - يدعو الى "ضرورة اعادة الاثار المسروقة الى دولها الاصلية". وفي قرار اخر في العام ١٩٧٥ اكدت الجمعية العامة مرة اخرى على ان "اعادة الاثار والكنوز الفنية الى مالكيها الشرعيين تعتبر واجبا على الدول الاستعمارية السابقة.

وغني عن البيان ان العبارة الواردة في هذا القرار الذي اتخذ باغلبية ساحقة (في الواقع لم يمتنع عن التصويت سوى الدول الاستعمارية السابقة بالاضافة الى الولايات المتحدة الاميركية والكيان الصهيوني) تعتبر ادانة واضحة لهذه الدول ، لانها تعني ، من وجهة النظر القانونية ، تصحيح عمل مرتكب بصورة منافية للقوانين والاعراف الدولية . ولكن الدول الاستعمارية السابقة ضربت بهذا القرار عرض الحائط ، ذلك انها تزعم ان سيطرتها "لم تكن غير قانونية"(كذا!!!)

لقد اخذت "اليونيسكو" ، على عاتقها مسؤولية اعداد الاقتراحات المتعلقة بتنفيذ القرار ، ولكنها لم تتمكن من احراز اي تقدم ملموس في هذا المجال ، بسبب العراقيل التي تضعها الدول المالكة حاليا لهذه الكنوز . وبعد محاولات عديدة تم تشكيل لجنة دولية خاصة مهمتها اجراء مباحثات ثنائية بين كل بلد سرقت كنوزه وبين الدولة المالكة لهذه الكنوز حاليا. ومن المقرر ان تجري هذه المحادثات في اروقة الامم المتحدة ومنظمة اليونيسكو في شهر ايلول المقبل.

وتجدر الاشارة الى ان الحكومات الغربية وادارات المتاحف ترفض بقوة اعادة الاثار والقطع الفنية المسروقة الى مالكيها الشرعيين . وهناك عدد محدود من الاثار التي اعيدت الى موطنها الاصلي من قبل دول لم تعترف حتى الان بمبدأ الاعادة ومنها :

١) اعادة جواهر التاج الملكي الى بورما من قبل الحكومة البريطانية عام ١٩٥٤ .

٢) اتفاقية عام ١٩٥٥ بين فرنسا ولاوس حول اعادة اثار لاوسية (لم تنفذ حتى الان).

٣) اتفاقية بين فرنسا والجزائر عام ١٩٦٨ بشأن اعادة ٣٠٠ لوحة فنية سرقت من متحف الجزائر في الفترة الواقعة بين عامي م١٩٣٠ - ١٩٦٢.

٤) اتفاقية بين بلجيكا وزائير لتقديم مساعدات بلجيكية عند بناء المتاحف في هذا البلد الافريقي ، واعادة الف قطعة اثرية من "ممتلكات" المتحف الملكي البلجيكي.

٥) اعادة مجموعات اثرية الى بابوا غينيا الجديدة من قبل الحكومة الاسترالية .

٦) اعادة مجموعات اثرية الى اندونيسيا من قبل الحكومة الهولندية.

٧) اعادة تمثالين لرأس بوذا الى بورما من قبل الحكومة البريطانية.

Digitized by Birzeit University Library

٨) اعادة اثار نادرة من الحلي الذهبية والمجوهرات من المتحف التابع لجامعة هارفارد الامريكية الى المكسيك عام ١٩٦٧ .

٩) اعادة بعض الاثار الى غواتيمالا وبيرو من قبل الولايات المتحدة.

١٠) اعادة سيف سومطري يعود تاريخه الى القرن العاشر الى اندونيسيا من متحف امستردام.

في الواقع انها قائمة هزيلة اذا ما قورنت بالعدد الهائل من المجموعات الاثرية والكنوز التي لا تقدر بثمن المكدسة في المتاحف الاوروبية . ولكن الدول الاوروبية اقامت جدارا عاليا من الحجج الواهية كي تفند مطالب استرجاع هذه الكنوز على انها غير مشروعة ، وان تحقيق هذه المطالب لا يمكن التفكير به . ويذهب بعض الاوروبيين الى ابعد من ذلك فيزعم مشروعية الحصول على هذه الاثار (اي بعبارة اوضح ، شرعية الاستغلال والسرقة).

في زيارة لمتحف الفن الاسلامي في برلين الغربية في تشرين الاول عام ١٩٨٣ تحدثت مطولا مع البروفيسور كارل - هينريش فون فتسليبين ، المدير العام للمتحف واحد المع اساتذة علم الاثار في اوروبا . وفي معرض تبريره لرفض اعادة الاثار والاعمال الفنية الى موطنها الاصلي ، زعم البروفيسور فون فتسليبين ان "الحصول على هذه الكنوز قد حدث عبر عشرات من السنين ، ومن خلال جهات متعددة الاطراف". وعندما جادلته بانه حتى لو كان هذا صحيحا ، فليس ثمة ما يمنع اعادة هذه الاثار الى مالكيها الشرعيين ، رد بغطرسة لا تليق ب "بلد العلوم" الذي انجب "امة من العباقرة :"لقد قدمت المانيا مأثرة انسانية من خلال نقل هذه الاثار الى متاحفها ، بعد ان اجرينا عليها مختلف عمليات الترميم والتجديد والصيانة . ولو بقيت هذه الاثار في مواطنها الاصلية لاندثرت واصبحت في زاوية النسيان . اين كنت سترى هذا التمثال ؟(واشار الى تمثال نصفي مصنوع من العاج) ، في ادغال الكاميرون؟ ورأيت ان من العبث استمرار الحوار مع هذا العنصري الذي لم يتردد لحظة في اتهام الشعوب الاخرى بالكسل والغباء وعدم الكفاءة. ان مزاعم الاوروبيين بانهم صانوا حقوق هذه الشعوب وحافظوا على اثارها لا يختلف كثيرا عن مزاعمهم في نقل "الحضارة" الى العالم الثالث.

Digitized by Birzeit University Library

قصائد شعرية .. ام احاجي والغاز؟؟!

انقطاع التواصل بين الشاعر والقاريء ، خسارة لهما وللادب

بقلم/ابراهيم جوهر

* مقدمة عامة *

ان تكتب ، يعني ان تفكر وان تجتهد وتتعب في تسخير موضوعك الذي تود الكتابة عنه وفيه ، لتخرج مضمونا ناضجا ومؤثرا .

ولأن الكتابة ليست دردشة عادية ، ولا كلاما ينطلق على سجيته دون روابط فنية وأسس متعارف عليها ، فهي ليست سهلة المنال لكل طارق لبابها. انها تستعصي على من لا يقدرها حق قدرها..

ان تكتب ، يعني انك مسؤول عن كتابتك لأنها جزء من جسدك وروحك ارتضيت له ان يطلع الى الناس ويتفحصوه. انه مرآة نفسك وفكرك وثقافتك.

مرآة؟! نعم هو كذلك.

ولكن هذه "المرآة" يجب ان تكون اصيلة صادقة ومتميزة ، تعكس ذات صاحبها وليس ذوات الاخرين.

لقد انتشرت مؤخرا في ساحتنا الادبية المحلية ظاهرة الانعكاس المرآوي لذوات كتاب وشعراء اخرين ، يحق فيها القول بأنها سرقة افكارهم وكدهم على "البارد المستريح"!

ليس عيبا ان يقرأ الكاتب قبل ان يكتب ، بل يجب ان يقرأ..

ولكن يجب الحيطة والحذر من تسلل افكارهم الى العمل الادبي الجديد سواء كان ذلك عن قصد او غير ذلك . لان الكتابة اخيرا تقع في نطاق المسؤولية وتحق عليها المحاكمة . هذه المحاكمة التي نطالب الا تكون رحيمة !

---

* قدمت هذه الورقة الى المؤتمر الثاني لاتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة الذي انعقد في مدينة القدس ، اواخر السنة الماضية .

Digitized by Birzeit University Library

الكتابة : عمل شاق ولذيذ في آن . يتطلب منك ان تنظم افكارك وتنتقي كلماتك ، او تطلقها على سجيتها ، ان كنت تتمتع بسجية سليمة ومسؤولة ، بشرط الا تفلت كلماتك وتجرك الى ما لا تحمد عقباه !

هذه ليست استاذية متعالية ! والا فاقرأ بعض الانعكاسات المرأوية المشوهة لنزار قباني في الكتابة السياسية - الادبية ، في بعض المجلات المحلية ، واحكم!

ان المسؤولية ، مرة ثانية ، والصدق ، هما المعيار الحقيقي الذي يجب على الكاتب ان يرسمه في خطواته الادبية طوال مسيرته التي ارتضى ان يسير في دربها الوعر.

وفوق هذه وتلك ، يجب ان تتوفر لدى الكاتب المعرفة الثقافية الواسعة . يجب بالضرورة ان يكون الكاتب مثقفا والا تخرج كلماته كرسومات الاطفال على الطرقات الترابية !

" ان الاجادة الفنية اذا كانت اثرا من اثار الشعور ومظهرا من مظاهر الحس القوي والعواطف الدقيقة والخيال الخصب ، فهي لغو اذا لم تستمد غذاءها الحقيقي من العقل والعلم." هكذا يقول الدكتور طه حسين ، على سبيل المثال . فقد وضع الاجادة الفنية التي لم تنبع من عقل واع لما يكتب ويهدف في صف اللغو والترف . فكيف اذا لم تتوفر هذه الاجادة اصلا ، ونطالب من ثم بالاعتراف بنا ككتاب؟ ونصرخ ونحتج اذا لم ينصفنا ناقد وتفسر ذلك بالعداء الشخصي.

ان الظرف الدقيق الذي نحياه في الاراضي المحتلة ، يتطلب منا الاجادة اكثر من التسامح ، فيجب ان نقسو على انفسنا لاننا نؤرخ لهذا الظرف القاسي. ولا يعفينا من ذلك الهروب الى الكلمات المغلقة التي تستعصي على الفهم.

* * * * *

"دب الحماس في صدر صديقي وراح يكتب "قصيدة" تعبر عن الواقع في لبنان .. وكتب.. فاسترعتني عبارة "امتشقوا الصدفة..." ولم افهمها فسألته ، فتهرب!

ان الوضوح في الرؤيا وتحديد الموقف السياسي والادبي ضروري جدا للكاتب. ومرة اخرى اجد نفسي مضطرا لاستعادة كلمات د.طه حسين حيث يقول:

"لا ارضى لشعرائنا الجهل ، ولا احب لهم ان يعرضوا للاشياء الا اذا اتقنوها اتقانا ، وظهروا على دقائقها واسرارها حقا".

لذلك يجب ان يعيش الكاتب مع مولوده الجديد لحظة بلحظة وان يعايشه منذ لحظة اشعاع الفكرة كفكرة لدى صاحبها. الذي يجب عليه ان يبحث وينقب على كل ما من شأنه اغناء هذه الفكرة واكسابها المظهر اللائق والمسؤول.

وهنا أتذكر الروائي والسياسي الفلسطيني البارز ، اميل حبيبي ، الذي قال ، قبل ان ابدأ بكتابة "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل" ممت ان اجمع جميع اعداد صحيفة "الاتحاد" منذ عددها الاول في العام ١٩٤٥، واقرأها.

كان يهدف من ذلك استرجاع دقائق الاحداث التي عاشها الشعب الفلسطيني . وبالرغم من انه - اميل حبيبي - عاش هذه الاحداث بنفسه وعانى مرارتها على جلده هو ورفاقه الا انه يريد ما يعزز هذه الخبرة والتجربة.

التجربة . هنا السر الرهيب ، ف "الشاعر المجروح ، الشاعر العظيم ، هو الذي سيبقى حتى لو حملوا جسده - بالقوة - الى المقبرة" كما يقول الشاعر عز الدين المناصرة .

ومع ذلك فان المطلوب ليس التصوير الفوتوغرافي الساذج للاحداث والتجارب "في حين ان الانعكاس المعقد - غير الفوتوغرافي - هو الاكثر نضجا ، ... ويرجع ذلك اساسا الى مدى فهم الشاعر لعملية الابداع الفني ." كما يقول عز الدين المناصرة ايضا.

والآن ، الى موضوعنا الاساسي ، موضوع

Digitized by Birzeit University Library

الغموض والابهام في الكتابة الشعرية ، حيث سنرى فيه ضعفا عاما يعتري الشعراء تحت حجج الحداثة ومجاراة التيارات الفنية الغربية وينسى في كل هذا الشاعر ونفسه وجمهوره فيظل يدور في حلقة مفرغة ، ويعمق بذلك اغترابه عن شعبه وقرائه ، مع ان المطلوب هو عكس ذلك تماما.

الرموز المغلقة ، والكلمات المتناثرة ،والمضامين المبهمة أبعدت القاريء عن الشاعر ، فانقطعت الصلة بينهما

لقد ترددت طويلا قبل ان ابدأ بكتابة هذا المقال الذي يتناول بنوع من الغضب والاحتجاج ، اتجاه الغموض واللغة المبتورة في الشعر الحديث بعامة ، وفي "قصائد" شعرائنا المحليين ، على وجه الخصوص.

وقد اجتاحتني مجموعة من الاسئلة ، كانت تعطل حماسي في الكتابة ، فور محاولة الشروع. فمن انا ليقف ناقدا هذا التوجه الذي يجده القاريء في القصائد التي يقرأها لكبار الشعراء المحدثين ، العرب والفلسطينيين وهل الخطأ يكمن في القاريء (انا ومن يشترك معي في هذا الشعور وهذه الشكوى) ام في الشاعر؟! وكيف اجرؤ على الوقوف في صف المعارضة، وانا ارى مجموعة من النقاد العرب (افنان القاسم في مجلة الطليعة العربية ، مثلا) واساتذة الجامعات يرحبون بهذا التوجه وبتلك الرموز ويغوصون في اعماقها يحللون ويستنتجون ، فيخرجون بنتائج لا اعتقد ان الشاعر عناها ، وان كانت تبدو منطقية ومقنعة ؟!

وظلت هذه الاسئلة تحاصر طموحي في ابداء رأيي مكتوبا ، الى ان عثرت مؤخرا على رأي للدكتور ابراهيم السامرائي من الاردن ، اعترف انه شجعني، على الاقل ليقاسمني الاتهام الذي اخافني فترة من الزمن ، وهو ان اتهم بعدم مواكبة المدارس الحديثة في الشعر وفن القول.

وبعد ان انتهيت من كتابة هذا المقال ، قرأت رأيا اخر يعزز ما ذهبت اليه لناقد عراقي هو الدكتور علي جواد الطاهر ، منشورا في مجلة "الافق" في عددها رقم ١٧٣ على صفحة ٣٨ ، يقول فيه :"اعتقد ان القاريء الجيد موجود ولكن القاريء يريد شيئا يقرأه ، كنت قد قلت مرة (والحديث للدكتور الطاهر) في حوار مع عدد من الشعراء الذين ينظمون ما لا يفهم (على اعتبار انه تجديد) قلت لهم: اريد شيئا اقرأه وافهمه واتذوقه ، فانتم لا تعطوني هذا الشيء".

وكما يبدو ، فان موجة الاحتجاج تتسع وتنتشر في اقطار العالم العربي المترامية ، وان كانت اسباب الاحتجاج مختلفة من واحد الى اخر ، فانها بالنسبة لي ترجع الى حبي لهؤلاء الشعراء الذين اخذوا بموجة "التحديث" وفهموا انها مجرد رصف كلمات معمية ورموز مغلقة "تدوخ" القاريء ، ظنا منهم ان هذا يكسبهم احترامه ، اي احترام القاريء!

وحبي لهؤلاء الشعراء المحليين عندنا في الاراضي المحتلة ، يجعلني اسف وانا اراهم يضيعون مداد حبرهم وصفحاتهم التي يسودونها بكلام غير مفهوم ، كما يجعلني اشفق عليهم وانا اعرف كيف يوفرون من نقودهم لاصدار "ديوان شعر" يكون مصيره غبار رفوف المكتبات.

ان الشعراء المحليين الذين اخذوا بموجة التحديث والتجريب ، قد تأثروا بالشعراء العرب الذين اصروا على مواصلة هذا النهج من التعمية ، ولم يعودوا الى قراءة حاجات الواقع المحلي بالذات ، ظنا منهم انهم يقومون برفع قضيتهم الى المستوى العالمي وهم يتوسمون خطى الشعراء الاوروبيين وبالذات ت.س.اليوت حتى جاءت "قصائدهم" تطبيقا لنهج الدادائيين في

Digitized by Birzeit University Library

فرنسا اوائل هذا القرن . ففي شهر كانون الاول ١٩٢٠ ، اقيم معرض لبيكابا في باريس ، وقرأ فيه نزارا بيانا هاما ، قال فيه:

"كي تصنع قصيدة دادائية

خذ جريدة

خذ مقصا

انتق من الجريدة مقالا حسب الطول الذي تنوي ان تجعله لقصيدتك

قطع المقال

قطع بعناية الكلمات التي تكون المقال، وضعها في كيس

حرك بهدوء

اخرج بعد ذلك كل قصاصة واحدة بعد الاخرى

وانقل بجد"

(د.سامي الجندي ، مجلة الافق ع ١٩،١٧٣/١١/١٩٨٧ ص ٤٢")

وقد وجدت هذا الكلام مطابقا لمعظم القصائد المحلية والعربية. وانقل فيما يلي قصيدة كاملة ، حمل عنوانها الديوان الذي ضمها ، وهي "در وحدك .. ثم تزدحم الحديقة".

قبل الضحى،
وقبل ان تلمس جمر الكلمة
هل انت .. انت
هل سقطت مرة ، وجعت مرة ،
ومرة اكلت في الصباح من اصابعك
وفي المساء جاءك النذير:
- لن تصبح الاصابع
مائدة او قنطرة
وغاية الشوارع
في رحلة الاشياء مقبرة
هل انت؟
قبل الضحى
وقبل خوف الكلمة
ملوثا محترقا تغطس في الانهار
وحدك ، ثم تنتهي
وحدك ، ثم تبدأ البكاء والضحك
كي تصعد الاصابع الاقمار
من جوعها القديم
كي يكون للقرنفل ، الحمائم الاطفال
والطريق والمنفى .. بقية من الغناء
هل انت؟
ام تدفن النجمة في الادراج
فرقة هنا وفرقة هناك
ام تنشرها في الهامش المعتاد
ام تصمت مثل راية مخبأة
هل ترفع الحجاب؟
ما زال بعض الوقت ..
ما زال الحضور والغياب
مسألة واحدة
والكلمة
تفتح هذا الباب
او تختفي..
هل انت ؟
(علي الخليلي ، وحدك ثم تزدحم الحديقة ،ص٧و٨)

° ° ° ° °

شن الدكتور ابراهيم السامرائي هجوما عنيفا على الشعر الحديث ، لغته ورموزه ومعانيه . وذلك في كتابه "في لغة الشعر" الصادر عام ١٩٨٤ .

لقد جاءت معالجة الدكتور السامرائي انفعالية حادة ، وان كان قد ساق لهذه الانفعالية ما يبررها ، حسب وجهة نظره الخاصة وموقفه الثابت من قضية الشعر الحديث وشعرائه ولغته.

انظر اليه وهو يقول ، معلقا على احدى قصائد الشاعر "ادونيس"

"... هذه الكلمات التي رصفت على غير نظام لا

Digitized by Birzeit University Library

يهتدي منها القاريء الى شيء ، وهي بيقين اريد لها ان تجيء في هذا الرصف فلا تعطي شيئا . فهي ضرب في شيء مجهول ، وهي عدم ليس غير ، ولا ادري اهذا هو "الغموض" الذي ينتمي اليه ، كأنه وقد تسمى ل "ادونيس" اراد ان يتخذ من وراء هذا الرمز حجة في الذهاب الى العبث بحجة "الجديد المعاصر" (ص١١٩)

ولعل الذي اثار الكاتب هنا ، كلمات ادونيس الشاعر ، وهو يقول:

" نتحاور بالارجل
بحبر المسام وكلماتها
فجأة
تجيء الصاعقة
نستيقظ ويجري كلاناوراء رأسه
في حنين السكن والاقامة
وامواج الركض الاخر
الضائع الدائم"
وذلك من ديوانه "التحولات والهجرة ص٥٩"

ويتعرض الكاتب الى ثقافة بعض الشعراء المجددين واطلاعهم على فن التعبير الشعري لدى الاوروبيين . وهو في هذا المجال يرى انهم نقلوا قشور الفن الاوروبي الشعري ، وراحوا يحاكون الشعراء الاوروبيين - وعلى الاخص ت.س.اليوت - دون التعمق في الظاهرة ولا سبر اغوارها او التأكد من مدى ملاءمتها للقاريء العربي. فهم "... لم يطلعوا اطلاعا كافيا على الادب الغربي ، ولكنهم الموا بشيء منه مما ترجم ، فاخذوه اخذا غير سديد . ومن هؤلاء البياتي الذي يفجؤك باشارات اسطورية من ادب اغريقي لم يقرأه في كتاب اجنبي ، او لم يقرأ شيئا منه في شعر الغربيين ، وانما عرفه في الادب المترجم ، وما ادري ماذا كان له من اتقان هذه المواد بهذا الاسلوب غير المباشر" ص١١٥

اما عن سبب استمرار هذه الظاهرة لدى الشعراء العرب المحدثين ، فيرجعها الكاتب الى "اساتيذ الجامعات" الذي كتبوا في احسان هؤلاء ، فيقول:

"وقد لقي هؤلاء الشعراء الجدد عونا وتأييدا في سلوكهم هذا ، والتزامهم بهذا النهج غير السوي ، من لدن طائفة من اساتيذ الجامعات فكتبوا في احسان هؤلاء ، وسلامة نهجهم مباحث ودراسات ، وقد كان لهذا تأثيره في دفع جمهرة من الشبان الى هذا اللون المبتسر يمارسونه قبل ان يكون لهم من ادوات الشاعر ما يؤهلهم الى ان يكونوا متأدبين او شعراء" ص١١٦ - ١١٧.

يعمم الدكتور ابراهيم السامرائي آراءه السابقة على الشعراء العرب الذين يكتبون الشعر الحديث (ولا يسميه الحر) ، ولكنه يستثني منهم شعراء الارض المحتلة الذين نظموا اشعارهم في محنة الشعب الفلسطيني . وبالمقابل ، يعيب عليهم عدم امتلاكهم للادوات الفنية التي ترقى بانتاجهم الى مستوى القضية التي يعبرون عنها ويكتبون فيهاولها(راجع ص ٩٦) . "... الا ترى ان هؤلاء ومعهم عشرات من الشعراء الجدد لم يقووا على ان يأتوا بشيء يخلو المأساة التي كان وقودها الناس من طفل وشابة وشاب وامرأة وشيخ في صبرا وشاتيلا .." ص٩٦

لقد انطلق الكاتب في هجومه على شعراء الشعر الحديث من عداء مسبق للغموض في القصيدة، وللرمز المبهم الذي لا يتفق على معناه اثنان من القراء ،ولتوظيف الاسطورة التي لا تجدلها ارضا في ثقافة القاريء العربي ، بالاضافة الى كسر الوزن والايتان "بموسيقى خاصة" تخالف ما تعارف عليه القراء . (راجع صفحتي ٩٤ و ٩٥)

وفي تحديده لمفهوم اللغة في الشعر ، يرى الدكتور السامرائي ".. ان اللغة في الشعر الجديد قاصرة كل القصور عن الاعراب عن اغراض الشعر الجديد التي تتلخص في انها اوعية تكشف عن الفكر المعاصر وما يضطرب به الانسان في عصرنا من هموم الحياة الجديدة" ص٤.

Digitized by Birzeit University Library

واكاد اتفق مع الكاتب في قوله:"ان اللغة في الشعر الجديد قاصرة كل القصور عن الاعراب عن اغراض الشعر الجديد" وان كنت اختلف معه في بعض المنطلقات التي انطلق منها لاستنتاج نتائجه الخاصة. ففي حين يلمس القاريء لكتاب "في لغة الشعر" ان الكاتب ينطلق مسبقا من عداء للشعر الحديث لانه (الكاتب) يقدس الشعر القديم ، اقول ان الشعر الحديث قد اثر في مجرى الحياة اليومية للشعوب القارئة . وهو بذلك ينفي عجزه وقصوره عن التوصيل والتأثير ، ولكنه فقد هذا التواصل مع جماهيره حينما بدأ يبتعد عن همومها المباشرة ، وراح يضرب في اجواء الغموض والتعقيد والابهام ، فلم يعد يلامس مشاعر الجماهير ويحرضها او يعلمها او ينقل مشاعرها الخاصة والعامة ، لذلك فشل في تحريك مشاعرها والتأثير في وجدانها . والشعر في هذا بريء ، ولكن الشاعر نفسه هو المتهم والمقصر ، على خلاف في المستوى اذ ان هذا القصور مرجعه قصور في رؤيا الشاعر نفسه وليس الشعر وكان من بين الشعراء المبدعين من قد بدأ جماهيريا وانتهى غامضا مبهما فلم نعد نحس بذلك الاحساس الحميم ونحن نقرؤه. فاين شاعرنا الكبير محمود درويش الان من قصائده الجماهيرية الاولى:

سجل انا عربي
ورقم بطاقتي
خمسون الف
واطفالي ثمانية
وتاسعهم
سيأتي بعد صيف..."

اين هو الان من قوله - على سبيل المثال - في ديوان "محاولة رقم : "٧"

"سألتك ان ترتديني خريفا ونهرا
سألتك ان تعبري النهر وحدي
وتنتشري في الحقول معا
سألتك الا اكون والا تكوني
سألتك ان ترتديني
خريفا
لاذبل فيك ، وننمو معا" ص١١٠

وديوان محمود درويش "محاولة رقم ٧ صادر عام ١٩٧٧، وهو في قصائده في عام ١٩٨٧ يتصاعد في الغموض والرمز ، مما لخص حالة القاريء بالتناقض الحاد فهو يعرف محمود دوريش "سجل انا عربي" وارحمونا من هذا الحب القاسي - المقال وليس :مديح الظل العالي او هي اغنية .. هي اغنية.

لا نشك ، للحظة ، بعبقرية محمود دوريش او سميح القاسم . ولكن حبنا لهذين العلمين بالذات يدفعنا للحديث عن الاتجاه الشعري المبهم الذي بدأ يغزو شعرهما وارى ان هذين العلمين (محمود وسميح) قد استوعبا معادلة الشعر الاوروبي الحديث ، فكتبا بعمق ولكنهما خسرا الجماهير .

اما عندنا في الاراضي المحتلة ، فان اتجاه الابهام وليس الغموض الشفاف - يسود كتابات كثيرين من الشعراء . ولعل الشاعر علي الخليلي قد عمق هذا الاتجاه من خلال قصائده العديدة التي ضمتها دواوينه المختلفة او تلك المنشورة في اماكن مختلفة ، حتى ان كثيرا من شعرائنا الجدد .قد قلدوه في رموزه المبهمة واحيانا في لغته الغامضة .

وعلي الخليلي ، على هذا ، هو صاحب مدرسة الابهام في الشعر المحلي. انظر اليه وهو يقول في ديوان "جدلية الوطن - سنة ١٩٧٤" :

" امطرت الافاق المسدودة ،
من يوقف نهرا بين الاصبع والاصبع؟!
من يسرق قمرا ينبت في اعراس الفلاحين البسطاء؟!
يا وطن الوالدة المولودة،
خبأنا جرحا ، وكشفنا جرحا،
عاصرنا الدم ماء ، والماء دما...

Digitized by Birzeit University Library

لم نسقط"

ص٧

لعل الحديث عن "اعراس الفلاحين البسطاء" والدم والماء .. يستوجب تراكيب واضحة الدلالة والمقصد. اما "من يوقف نهرا بين الاصبع والاصبع" فليست من الوضوح في شيء ، الا اذا كان الشاعر يوجه قصائده الى فئة محدودة من المثقفين الذين يحبون "البنيوية"!

ما الوضوح الذي نريده؟

من المؤكد انني لا ادعو الى البساطة ولا السذاجة ، التي يواجهنا بها بعض من نطالبهم بالوضوح في قصائدهم ، بهدف الابقاء على علاقة التواصل مع القراء!

ان "شعراءنا" وهم يصرون على التعامل مع المعميات والمبهمات ، انما يصرون على البقاء خارج دائرة الحياة. تلك الدائرة التي تتكون من افئدة الجماهير القارئة وايادهم الملوحة بالحب والود.

اعود ، مرة اخرى ، لانقل ما يقوله الشاعر عن المخيم والمعاناة والثورة - هذه الامور واضحة الدلالة والاثر ، عندما ينقلها الشاعر شعرا ، تدخل في نطاق المعميات والشعوذة الكلامية. يقول:

"احدثكم عن سقوط النيازك ، تندفعون الي:
عصافير ام شجرات الحديقة تطلع بين الرصاص ، وبين
فمي ويدي..
و "المخيم" يبدأ جيل الملاحم ،
للسلطات ، الجنود ، العواصم .. موتي،
لكم مطر الصيف ،
صار دمي قمر الشعراء ، الدليل
الكتابة فوق المحاريث والجرح،
بين فمي ويدي الكلمات ، النحاس ، الحديقة
لا عنقي حجر ، او ذراعي ورق !
والرفاق ، السلاح المقاوم ،
والجثث النابضات ، المحرقة
البسطاء ، الاعاصير..."(علي الخليلي ، جدلية الوطن ،ص٢٦).

قد يقول بعض الشعراء انفسهم : ان للشعر الحديث طريقة خاصة للقراءة واقول : نعم ، قد يكون ، بل هو كذلك.

ولكن ، اية طريقة للقراءة ، ستخرج باي معنى من قراءة المقطع السابق ؟؟! لو اردت ان احلل رموز هذا الكلام لفعلت . وسأفهم رموزه فهما خاصا ولكن ، من يضمن لي ان اشترك في فهمي هذا الخاص مع قاريء اخر ؟!

لا احد !!

اتصور الشاعر - او غيره من المعجبين بهذا الرصف للكلمات - وقد وضع امامه مجموعة من الكلمات ذات الايقاع والايحاد الخاصين ، وذلك في غير ترتيب ولا تنظيم .. ثم اراد ان يصوغ منها "قصيدة" ، وبالفعل يبدأ.

لقد وضع امامه على الورقة المفردات التالية:"النيازك" والحديث عنها يقتضي "الاندفاع" وعندما يندفع الناس ويتراكضون فانهم يشبهون شجرات الحديقة الطالعة من بين الرصاص. وهذه الصورة وتلك العلاقة بين الشجر والرصاص او "الموت والحياة" اقتضت وجود كلمتين هما: الفم واليد ، الفم الذي يأكل ويستهلك ، واليد التي تعطي وتعمل وتنتج.. او ما شابه ذلك .. فلست ادري !! فمارت "القصيدة" كالتالي:

"احدثكم عن سقوط النيازك ، تندفعون الي:
عصافير ام شجرات الحديقة تطلع بين الرصاص ، وبين
فمي ويدي..
الخ ، الخ"

ان الفكرة واضحة ، ولكن القصيدة مبهمة .

وان الفكرة مترابطة ، ولكن القصيدة مفككة التراكيب.

وان الفكرة متجانسة ، ولكن التراكيب متنافرة

Digitized by Birzeit University Library

ومتناثرة.

فهل بعد هذا ، تظل فكرة واضحة ومترابطة ومنجانسة ؟!، وان التعبير المبهم عن فكرة واضحة ، يدخلها في اطاره ، فتصير مبهمة لا احد يقترب منها ولا يستشعرها .. وهنا مكمن الخطأ والخطر.

ان قضيتنا انسانية الابعاد والعمق ، ولكن التعبير الشعري عنها ، يبعدها عن المشاعر الانسانية المتعاطفة والمؤيدة .

هذا هو الشاعر نفسه يقول من قصيدة "مدخل الى جسد التفاحة" :

"اتقدت عين الديك ،
وذيل الهرة منتفش
والموقف خال من نار الثمر السري،
وقفنا بين البلور وبين الزبد
تبادلنا الموت مرارا"
(جدلية الوطن ، ص٥٩)

هناك شعور خاطيء لدى بعض القراء يقول : اننا لا نفهم ما يقوله شعراؤنا لاننا لسنا مطلعين على فنون الكتابة الشعرية الحديثة . والحقيقة ان العكس هو الصحيح ، اذ ان بعض شعرائنا هم الذين لم يطلعوا بما فيه الكفاية على فن الكتابة الشعرية ، وليس القاريء .

وعندما نسألهم - كما حصل قديما - : لماذا لا تكتبون ما يفهم ، يجيبون : لماذا لا تفهمون ما يكتب !!

فهل نظل في هذا الجدل ؟ ومن الخاسر في النهاية؟

لا نريد لشعرائنا هذا التهويم .. ولا نريد ان نخسرهم كشعراء ولا ان يخسرون كقراء ..

اننا نريد من شعرائنا ان يكتبوا ما يفهم وما يؤثر وما يشحن ويثور وما يسهم في تربية الذوق الفني السليم لدى القاريء.

ولا نريد ، بل نرفض ، ان ترسخ قصائد شعرائنا اصداء هذه المعاني ، (الفهم والتأثير والتثوير والشحن وتربية الذوق الفني السليم).

ولا اريد ان نعود ثانية الى معزوفة "الهبوط" الى مستوى الجماهير او رفع الجماهير الى مستوى الشاعر. لان ذلك صحيح في ميدان اخر غير ميدان الالفاظ المتنافرة المعاني التي تتحد في سطر من الكلمات المرصوفة من مثل : عين الديك وذيل الهرة والموقد الخالي من نار الثمر السري. التي مرت سابقا.

اذن ، ارحمونا من هذه الالفاظ وابقوا لنا على سلامة ذوقنا !!

اعرف ان العمل الادبي الذي يسلم نفسه للقاريء من المقاربة الاولى والقراءة الاولى ، يكون ساذجا اذا لم يكن وراءه اديب مقتدر . ولعل الفهم الخاطيء لدى بعض شعرائنا لهذه العبارة قد دفعهم الى ابعاد اعمالهم الشعرية عن فهم القاريء ابعادا بعيدا ، فوقعوا في الابهام .

هذا هو الشاعر العراقي المعاصر "سعدي يوسف" يوضح لنا معنى البساطة والوضوح اللذين نريدهما ، فيخاطب عاملا في الميناء بقوله:

"عرفناك لم تمدد لاعدائنا يدا
وكنت بنا برا ، كاغنية الندى
سهرت لياليا
هويت اغانينا
ولم ترتجف منك الخطى حين اظلمت
بحار.. فان الارض ترقب مولدا"(الاعمال الشعرية ص ٥٥)

فلا خطابية ولا مباشرة ، بل فن راق صاف وكلمات شفافة موصية شعرية ، وفكرة واضحة . انها الوضوح الذي اريده ، والبساطة - غير الساذجة - التي يريدها القراء من شعرائهم.

ويبقى السؤال : لمن يكتب الشاعر ؟ ولماذا يكتب؟ كل ذلك اذا كان عنوان كتابته (وهم الناس) غير واضح في كتابته.

Digitized by Birzeit University Library

المراجع والمصادر:

(١) د. ابراهيم السامرائي ، في لغة الشعر ، عمان :دار الفكر للنشر والتوزيع د.ت.

(٢) محمود دوريش ، محاولة رقم ٧ ، عكا: مكتب الاسوار ،١٩٧٧.

(٣) علي الخليلي ، جدلية الوطن ، عكا : مكتب الاسوار ،د.ت.

(٤) سعدي يوسف ، الاعمال الشعرية (١٩٥٢ - ١٩٧٧) دار الفارابي ، ١٩٧٩.

(٥) للوقوف على المزيد من القصائد الغامضة التي يستعصي فهمها على الاذهان ، راجع اي ديوان من دواوين علي الخليلي: الضحك من رجوم الدمامة ، او نابلس تمضي الى البحر . وستجد امثلة وافرة في مختلف الدواوين الشرية لبقية شعرائنا المحليين ، ايضا.

(٦) علي الخليلي ، وحدك ثم تزدحم الحديقة ، القدس: منشورات البيادر ، تشرين الاول ١٩٨٤.

ويلاحظ في ديواني علي الخليلي (جدلية الوطن ، ووحدك...) تقصد اللفظة الاصابع والازدحام على الرغم من السنوات العشر التي تفصل بينهما.

(٧) مجلة الافق ، ع ١٧٣ ، ١٩ تشرين الثاني ١٩٨٧ ، السنة السابعة ، تصدر عن شركة منشورات الافق المحدودة، نيقوسيا - قبرص.

Digitized by Birzeit University Library

حول المغزى السياسي

لقصص سادة العواصم

.... السادات

- وضاح السعد -

القاريء لعنوان هذه المجموعة القصصية القصيرة جدا للقاص محمود شقير ، لا بد وان يلمس ضرورة وجود كلمة مكملة للعنوان تظهر امامه فجأة في جو ساخر في الاسطر الاخيرة لهذه المجموعة عندما تجيب الجميلات من النساء ردا على سؤال:"هل وقعت ابصاركن على من هم اكثر منا قوة وجاها وبأسا وانفة؟؟ فيجبن ضاحكات لاهيات:

معاذ الله ، معاذ الله ، فانتم السادة ، انتم السادات.

اذا نستطيع القول بان محمود شقير اراد لنا بطريقة فلسفية تعتمد التفكير العلمي الصحيح التوصل الى الصفة المميزة "لسادة العواصم" وهذا التفكير يسير من خلال مسلكين اثنين : المسلك الاول يكون فيه السادات نقطة انطلاق لتفكيرنا نتعرف من خلاله على الصفحات المميزة للسادات ومن ثم نبحث عن مثيلاتها لاي اشخاص اخرين فيجمعهم مع السادات صفة مشتركة - صفة السيادة.

والمسلك الثاني تكون الصفات الاكثر شمولا والعامة نقطة انطلاق لتحديد المتميز منها ومعرفة الاشخاص الذين تميزهم هذه الصفات .

ان سياسة الاعتماد على الامبريالية الامريكية هي الصفة المميزة والمشتركة لسادة العواصم العربية ومصير هذه السياسة معروف لان مصير السادات اصبح معروفا. فهذه السياسة تؤدي الى الانتحار لانها تحمل بين طياتها حبل المشنقة الذي لا بد وان تشد اليه اعناق معتمديها .

كل هذه الامور تأتينا من خلال اربعة قصص قصيرة جدا وباسلوب ادبي وفلسفي مشوق.

فمن خلال مرايا المصعد تنعكس امامنا صور السادة ذوي الياقات الانيقة ، عشاق السلطة ، الذين يعيشون حياة في غاية الترف والبذخ.يأكلون من اطايب الطعام ، يشربون الخمرة المعتقة ويغسلون ايديهم بالصابون المعطر ، لا هم لهم في هذا الزمان سوى جسد المرأة التي يشتهونها دون تحفظ او مواربة.

هؤلاء السادة فضلوا ان يكونوا كلابا حية تنبح في وجه الاعداء على الموت في سبيل الوطن. يعتبرون انفسهم رجالا بالمقارنة مع النساء ويتعرفون على ذلك فقط عندما يقفون امام المباول البيضاء. جاهزون في كل لحظة للانبطاح والزحف على البطون امام المصعوبات والتحديات.

هذه هي صورة "سادة العواصم" في المرايا واذا

Digitized by Birzeit University Library

كانت المرأة تعكس الصورة الحقيقية فالتجربة العملية تؤكدها . وهذا التأكيد يأتينا من خلال قصة "بيان" فليس اختبار صفارات الانذار وحده كان سببا لادخال الرعب والفزعة الى قلوب السادة بل انهمار المطر هو الاخر كان سببا في عدم التزامهم بموعد الاجتماع المبكر فهم كسالى بالاضافة الى كونهم جبناء . يكرهون العمل الجاد. تابعون. انتهازيون.

لقد استطاع الاستاذ محمود شقير من خلال قصة "بيان" وضع القراءة الصحيحة والصائبة للبيان الختامي الصادر عن مؤتمر قمة عمان قبل صدوره . وذلك لانه ادرك بحدسه ، معتمدا وعيه السياسي العميق ، لب السياسة التي ينتهجها "سادة العواصم" الذين يتلقون اوامرهم التي حفظوها واتقنوها من سيد البيت الابيض . همهم الوحيد من عقد مثل هذه الاجتماعات التصدي لكل ما هو وطني وتقدمي والاكتفاء بصيغة بيان لا يسبب احراجا لاحد.

لقد جاء البيان الختامي لمؤتمر قمة عمان نظيفا حتى من الاشارة الى تواجد الاسطول الاميركي في الخليج وضرورة انسحابه من مياه الخليج ، فهذا شيء من المحظورات التي لا يمكن لسادة العواصم تجاوزها .

واما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية "العزيزة على قلوبهم" فقد اكتفى المؤتمرون بالتأكيد على "الحقوق الوطنية الثابتة" للشعب الفلسطيني دون التعرض لحق هذا الشعب في اقامة دولته الوطنية المستقلة حتى لا يغضبوا احدا هنا او هناك . وهم بعد ذلك كله يمضون في غيهم وترفهم وقد نسوا البيان والدم المراق والعالم كله بما فيه المخيمات .

انها التجربة المريرة التي تعيشها شعوبنا العربية بعد كل مؤتمر قمة لسادة العواصم. فهم ان توصلوا الى اتفاقات وخرجوا ببيانات ، انصرفوا فيما بعد الى التخلي عن كل ما هو ايجابي فيها . وهل بغير ذلك يمكن تفسير التنصل من الالتزام بمقاطعة نظام كامب ديفيد؟؟

وهل بغير ذلك يمكن تفسير عدم الاشارة الى مقررات قمة فاس الخاصة بالقضية الفلسطينية؟؟

انها رغبة الامريكان وهذه هي سياستهم التي شبهها كاتبنا بعرض الازياء ، فهي تقتصر على عرض المشاريع الواحد تلو الاخر والتي جميعها تقوم على اساس التنازل عن الحقوق المشروعة كما هو الحال بالنسبة لعرض الازياء الذي يقوم على اساس فضح مفاتن اجساد النساء.

في قصة "عرض ازياء" يسلك الكاتب المسار الثاني من التفكير العلمي حيث ينطلق من العام الى الخاص ليظهر مميزات احد هؤلاء السادة .

ان الحديث في "عرض ازياء" يدور حول النظام الهاشمي صاحب الاسم التراثي. والذي بالرغم من التهيؤ النفسي لسادته بقبول اتفاقات كامب ديفيد الا ان هذه "الفرصة النادرة" كانت وقعت دون اشتراكهم فيها ، مما ولد لديهم الشعور بالخيبة المريرة . فعدم انضمام هذا النظام لمؤتمر كامب ديفيد في حينه جاء لاسباب موضوعية خارجة عن طاقته . وهذه الاسباب يمكن التوصل اليها من خلال الوصف الهندسي الدقيق للقاعة الكبرى والردهة الملاصقة لها ، ذات النوافذ الداخلية والتي تخلو احداها من الستائر ، وتطل على المساحة الخلفية التي يفصلها عن القاعة الكبرى فاصلا سميكا من مخمل اخضر . فالقاعة الكبرى تعني المملكة الاردنية الهاشمية ، الردهة - الضفة الغربية والمساحة الخلفية اسرائيل التي يفصلها الخط الاخضر عن المملكة بضفتيها .

اذا المقصود من وراء ذلك ، ان الشعب الفلسطيني القابع تحت الاحتلال ممثلا بتنظيماته السياسية ومؤسساته الوطنية يعتبر العقبة الوحيدة ، والسبب الموضوعي لعدم دخول النظام الهاشمي في محادثات كامب ديفيد . ذلك

Digitized by Birzeit University Library

النظام الذي تنبه في الاونة الاخيرة لهذه الحقيقة "فاصدر امرا فورا بتغطية فضاء النافذة بكتلة سوداء من القماش" ليستعيض عن اتفاقات كامب ديفيد المفضوحة بالتستر وراء خطة ريغان ومشروع التقاسم الوظيفي.

نهاية هذه البدائل ومصير اصحابها المتسترين يمكن التعرف عليه من قصة "انتحار" ولن يكون بأي حال من الاحوال افضل من نهاية اتفاقات كامب ديفيد ومصير بطلها بالرغم من الفارق بين التستر والتعري فالسادات ومنذ اللحظة الاولى التي خلع فيها غطاء رأسه ليؤدي التحية الى اعداء الامس وقبل بالتعري من كل ما هو وطني وقومي وبشكل مفضوح ، عمل بذلك على نشر بذور فنائه في ارض مصر الطيبة.

والصديق (ز) الذي وصل الى الساحة الفسيحة متجها على غير عادته كان يحمل في جيبه حبل المشنقة الذي شده الى العنق عندما وصلت زوجته الى ذروة التعري.

حدث هذا بالرغم من الضوء الشفيف والجلسة الهادئة المقتصرة على الصفوة من الاصحاب والصاحبات .

لكن احذروا! انها اضواء كابية حمراء وزرقاء انها نفس الاضواء الكابية الحمراء والزرقاء التي تم تحت رعايتها اتفاق كامب ديفيد.

وبعد فان سياسة صاحب البيت (ط) وصديقه (ز) القائمة على "طز" للشعب الفلسطيني لم تعد تجدي والاجدر بهم الاعتراف بحق هذا الشعب في اقامة دولته الوطنية المستقلة.

Digitized by Birzeit University Library

وثائق

الحركة المسرحية في المناطق الفلسطينية المحتلة

اعداد : جميل السلحوت

٦ - صندوق العجب

واحدة من ابرز همومنا الثقافية هي عدم توثيق هذه النشاطات والفعاليات من ناحية ، او "اختصار" بعض الحقائق و"اهمال" بعض الفعاليات من ناحية ثانية .

وهذا "الاختصار والاهمال" يقع في غالب الاحيان ضمن اطار "تعمد تغييب بعض الاتجاهات وانكار دورها" فضلا عما تلقاه من نكران وجحود ممن ارادوا لانفسهم دور الوصاية عل الثقافة.

يقولون : هكذا .. والا فلا !

ويتبجحون : نحن من قبل ومن بعد ، ولم يكن قبلنا الا قبض الريح ، ولن يكون بعدنا الا الطوفان !

وتضيع الحقائق ، ويصبح الطاووس ، او ريشه الزاهي وحده ، بلبلا غريدا، ويشطب اسم البلبل من قاموس الحقائق. ويصبح التاريخ ارجوحة تعلو بفارس زعلا ، وتهبط بمن تقف "السدنة" عنه الريش .

ان خلف الريش الزاهي طيرا ملامرا اعجفا ، فلا هو باللحم ولا بالشحم ، والفاقد للشيء لا يغني به عن شيء حقيق ، فلا يرد غائلة، ولا يسد وحظة.

كان طموح "الكاتب" دائما توثيق هذه النشاطات والفعاليات الثقافية في المناطق المحتلة، وكان دافعها ان تكون "الحقيقة" هي "الوثيقة" التي لا تضيع ولا تنسى ، وقد رأت هيئة التحرير ان تتوجه الى اصحاب هذه الفعاليات انفسهم ، من كل مذهب فني او فكري ، لأن يقولوا كلمتهم الوثيقة هم انفسهم في مرآة ذاتهم.

سنتناول في كل "وثيقة" مجموعة او فردا مبدعا ، ليقول كلمته، دون حجاب او عتاب ، وسيكون دورنا الاصغاء ، كل الاصغاء.

اننا ندعو كل الفعاليات الثقافية للتعاون مع محرر هذه الوثائق ، ليستطيع بدوره ان يرفع صوتها ... للحقيقة والتاريخ .

Digitized by Birzeit University Library

" صندوق العجب "

اعداد - عادل الترتير

صندوق العجب مش مليان قصص عنتر بن شداد او الزير سالم،في حياتنا قصص ومشاكل كثيرة ، بتمل كل صناديق الدنيا . ودورنا ندور بهالصندوق عل الناس ونطلع معهم بحل،بنستعين احيانا في عملنا بالمظاهر الشعبية من احتفالات وطقوس وبنحاول نساهم مع غيرنا عن طريق التجربة لبلورة مسرح شعبي .

(من كتيب تجمع العمل والتطوير الفني - لجنة المسرح)
- الصادر في شهر شباط سنة ١٩٨٠ -

تأسست فرقة صندوق العجب في اواخر ايلول سنة ١٩٧٥ بمبادرة مجموعة من الشبان كانوا اعضاء نشيطين في فرقتي بلالين وبلا - لين . في تلك الاثناء كانت هذه الفرق تعيش حالة نقاش حول وجهات نظر وافكار متباينة بين اعضائها حول العمل المسرحي ومفهومه ودوره ، هذا بالاضافة الى حالة من التسيب والترهل كانت منتشرة بين بعض اعضائها .

في ظل هذه الظروف بدأت تتبلور افكار جديدة حول اسلوب العمل المسرحي وامكانية احيائه من جديد على ضوء التجارب السابقة حيث جرى حوار ونقاش بين تلك المجموعة انحصر بين اربعة اشخاص:

هم عادل الترتير ، مصطفى الكرد ، محمد انيس البرغوثي من (فرقة بلالين) فرانسوا ابو سالم من فرقة (بلا - لين).

بدأ هؤلاء الشبان بالعمل بشكل نشط مبادرين باول تجربة تفرغ للمسرح ومعتمدين باخلاص على قدراتهم وامكانياتهم الذاتية . وقد اعتمدت هذه الفرقة على اسلوب العمل الجماعي والتمارين المكثفة المتصلة والتخطيط لعروض في كافة المدن والقرى وذلك من اجل خلق مسرح جماهيري نقدي ملتزم بسيط من حيث الامكانيات غني من حيث المضمون.

أعمال الفرقة:

* **بانجينا:** بتاريخ ١٩٧٦/١/٢٢ كانت هذه المسرحية أول اعمال الفرقة وقد تجسد فيها اسلوب العمل الجماعي في التأليف والاخراج والادارة. مثل في المسرحية ، عادل ترتير ، مصطفى الكرد ، محمد انيس البرغوثي ، فرانسوا ابو سالم ، حسين جمعة ، علي حجاوي. (بعد خمسة عروض للمسرحية تم اعتقال مصطفى الكرد حيث اسند الدور الى جبر الزبيدي) واستمرت الفرقة في عروضها التي امتدت بالاضافة للقدس الى الناصرة وعكا وكفر ياسيف وبيرزيت ورام الله وبعض المعاهد والجامعات.

موضوع المسرحية تم استلهامه من حياة الناس الاجتماعية ومعاناتهم اليومية في ظل ظروف الاحتلال حيث تتداخل افكار شتى حول الحلول المطروحة لتشخيص الداء

Digitized by Birzeit University Library

ومعرفة الدواء. تتكشف هذه الافكار من خلال شخصيتين اساسيتين هما عنتر وابو الجنازير اللذين ينتميان الى واقع طبقي محروم. يحاولان جاهدين فهم ما يدور حولهما واللجوء الى مختلف اصناف الدوائر والمؤسسات في بحثهما عن حل ما.

* "تغريبة سعيد بن فضل الله":

بتاريخ ١٩٧٩/٥/٢٤ جاءت هذه المسرحية بعد فترة من الغياب عن ساحة العمل المسرحي وذلك بسبب الظروف القاسية التي مرت بها الفرقة والمتمثلة بالخلافات التي نشبت بين بعض اعضائها نحي فرنسوا على اثرها بالاضافة الى سفر مصطفى الكرد الى الخارج بعد الافراج عنه ، وعدم توفر امكانيات التفرغ التي كانت تطمح اليها الفرقة.خلال فترة الغياب هذه عاشت الفرقة مرحلة من اعادة البناء وتقييم الامور واضافة دم جديد لها لقد كانت هذه المسرحية استمرارا حيا لاسلوب العمل الجماعي الذي تميزت به الفرقة.

شارك في العمل: عادل ترتير ، محمد انيس البرغوثي ، خلف امير طه، سونيا النمر ، عمر سمارة ، عصام نصار ، مجدي المالكي ، حسان زهران ، جمال حمزة ، عبد المجيد اسحق.

عرضت هذه المسرحية لاول مرة في ساحة الكنيسة الاسقفية العربية في رام الله ثم امتدت عروضها فيما بعد الى بعض قرى قضاء رام الله (عين يبرود ، دير دبوان ، بيرزيت) بالاضافة الى عروض المعاهد والجامعات.

• في صيف سنة ١٩٨١ قامت الفرقة بمبادرة لعرض هذه المسرحية في الاردن بمساعدة رابطة المسرحيين الاردنيين على مسرح دائرة الثقافة والفنون في عمان حيث كانت هذه من اولى المحاولات من قبل مسرحنا المحلي للخروج الى مسارح العالم العربي.

موضوع المسرحية هو الانسان البسيط الذي تصطدم امكانياته المتواضعة بالشروط الاجتماعية والاقتصادية القاسية ، فلا يستطيع تحقيق طموحاته الشخصية الا من خلال بيع قوة عمله في السوق السوداء . لعبة السوق السوداء هذه تفرض عليه_اي الانسان البسيط_ان يعمل كلبا في سيرك يملكه انسان فهلوي يتقن لعبة الاستغلال . وتكون الصدمة ان دفع انسانيته ليصبح كلبا حيث يدفعه ذلك مع الاخرين للبحث من جديد عن انسانيته فيعي هو والاخرون ان انسانيتهم لن تتحقق ببقاء لعبة السيرك كما هي ويبدأون بوضع قوانينها بانفسهم ويكون ذلك اول خطوة نضال نحو تحقيقها. بعد هذه المسرحية نود ان ننوه بان محمد انيس البرغوثي قد غادرنا الى لندن للتخصص في المجال السينمائي .

* "راس روس"

عرضت لاول مرة في شهر تموز سنة ١٩٨٠ في ساحة سرية رام الله في الهواء الطلق تميز هذا العرض عن باقي العروض بحضور جماهيري ضخم ما يقارب الف مشاهد فيما بعد توالت العروض على مدى سنتي ١٩٨٠ - ١٩٨١ في اماكن مختلفة ثم اعيد عرضها في ٢٣ - ١٩٨٤/٩/٢٤ على مسرح النزهة الحكواتي في القدس وشاركت في مهرجان ليالي بيرزيت في ١٩٨٤/٨/٢٤.

الجديد في تجربة "راس روس" هو ان هذه المسرحية اول مونودراما (اي مسرحية يمثلها شخص واحد فقط) في الحركة المسرحية الفلسطينية بأكملها. فقد قام احد اعضاء فرقة صندوق العجب عادل ترتير بتمثيلها وتأليفها واخراجها ، وساهم في انجاز العمل كل من محمد مسعد ومحمد انيس البرغوثي.

Digitized by Birzeit University Library

موضوع مسرحية "راس روس"

الفكرة الاساسية التي تدور حولها المسرحية هي عن انسان يعيش مجتمع القهر والاستغلال في كافة تناقضاته ، سلبياته وعجزه عن فهم حركة الصراع الدائر من حوله ومحاولاته للخروج من هذا المأزق.

ان شخصية (الزبال) التي تعتبر العمود الفقري للمسرحية هي احدى هذه النماذج لهذا الانسان العاجز المقهور والتي تتكشف من خلالها مزيمة الفرد الذي يهرب من حركة الواقع الى عالم الوهم الذي يصنعه بنفسه.

هذه الشخصية لها تاريخ طويل يشكل سلسلة طويلة من عمليات القهر والاستغلال الذي وقع عليه مع بقائه كل الوقت في أدنى السلم الاجتماعي مما خلق عنده ردود فعل سلبية تتفاعل في داخله وتؤدي في النهاية الى وجود انسان مريض يخلق عالما وهميا من اللعب صنعها من الاسفنج والخشب وبقايا الاشياء والمهملات بحيث تمثل هذه اللعب نماذج عايشهافي الواقع ، يضعها بترتيب جديد حيث يكون فيه هو الاقوى والمسيطر وهو الذي يتحكم بعلاقات هذه النماذج كان يحلم بالتغيير وكان يحلم بمجتمع اخر مجتمع قائم على علاقات جديدة لذلك ومن خلال عاله الوهمي وفي مختبره الخاص بدأ بعملية خلق لشخصية جديدة تكون نموذجا للانسان المرشح للتغيير او المتقذ الذي يجسده في شخصية الطفل . وعند انتهائه من بنائها وفي هذه المرحلة التي احس انها قمة انجازه وفي اللحظة التي ينتظر فيها انطلاق طفله للتغيير.

تبدأ اصوات اطفال مصدرها الشارع تصل اذنيه مظاهرات حقيقية حناجر تصرخ وطلقات تسمع حيث يزداد معها انفعاله ويدفع طفله الاسفنجي الوهمي للخروج الا انه لا يخرج ولا يتحرك ولا يرد ولا يستطيع ان يحمي نفسه ، وعند هذه النقطة يبدأ التحول الكبير فيكتشف وهمه الذي يتلاشى عندما يبدأ الواقع الحقيقي يفرض نفسه على شكل معركة وصراع حقيقي يجسده الجيل القادم فعلا...

* "من يعلق الجرس"

في تموز ١٩٨٠ عملت فرقة صندوق العجب مع اطفال نادي سرية رام الله في تأليف واخراج مسرحية من يعلق الجرس وشارك بالتمثيل صلاح هنية واحسان طوطح بالاضافة الى مجموعة من الاطفال هم : فيفيان الدلو، لبنى غنايم ، هديل حلاوة ، سهى جبران ، هشام ابو لبن ، نبيل سنيورة ، وفاء المصري ، رولى دحو ، خديجة النحاس ، منتهى عقل.

المسرحية تتحدث عن مجموعة اطفال يقومون بترتيب وتنظيف مساحة من الارض لممارسة حقهم في اللعب عليها. ولكن فجأة يعترضهم غريب حيث يصادر هذه الارض ويقوم بتسييجها لصالحه وهنا يبدأ الصراع مع هذا الغريب ويبدأ الاطفال في الدفاع عن حقهم.

* "الحقيقة"

هذه المسرحية عرضت لمرة واحدة في كانون اول عام ١٩٨٢ في حفل تكريمي اقامته فرقة الامل الشعبي في قاعة نقابة الحدادة والالمنيوم . شارك في العمل: ماجد الماني ، عادل ترتير ، عصام نصار ، حيان الجعبة ، فهمي عيوش.

وهي عبارة عن مسرحية قصيرة من فصل واحد قام بتأليفها عبد الصاحب ابراهيم ونفذت باسلوب العمل الجماعي.

تتحدث المسرحية عن علاقة الشعب بالسلطة التي تحاول جاهدة كم الافواه وتخدير الشعب وتزويده بحقائق مشوهة بعيدة عن حقيقة الاستغلال والقمع الاجتماعي والسياسي الذي يعانيه وتظهر هذه الصور فنيا بشكل علاقة مخرج (الذي يرمز الى السلطة) مع ثلاثة ممثلين وملقن.

Digitized by Birzeit University Library

■ مسرحية "الاعمى والاطرش":

قدمت في عدة عروض على مسرح النزهة الحكواتي. العرض الاول كان بتاريخ ١٩٨٦/٥/٣٠ ثم توالت العروض في كل من بيرزيت وام الفحم وقد توقف عرضها في اسبوع غسان كنفاني في مجد الكروم وذلك اثر منع استمرار المهرجان.

شارك في العمل: اكرم المالكي ، عادل ترتير ، خلف امير طه، درويش ابو الريش ، ماجد الكرد ، مها دحو.

اعدت المسرحية عن قصة غسان كنفاني "الاعمى والاطرش" الغنية عن التعريف ونفذت باسلوب العمل الجماعي الذي تنتهجه الفرقة.

مشاكل:

ان المشكلة الاساسية التي تواجه الفرقة هي ندرة وجود الانسان المسرحي الصادق الذي يستطيع ان يحافظ على نشاطه واستمراريته في ظل ظروف صعبة اختارت فيها الفرقة الاعتماد على امكانياتها الذاتية. هذا بالاضافة للاحتلال الذي يمارس مختلف اصناف القمع الثقافي والسياسي.

التمويل:

تعتمد الفرقة اساسا على اعضائها وامكانيات مساهمتهم المالية بالاضافة الى ما تحصل عليه من مردود مالي مقابل عروضها والتي غالبا لا تكفي تغطية تكاليف انتاج مسرحياتها.

وما تختلف به الفرقة في هذا المجال عن بعض الفرق الاخرى هو رفضها لكافة اشكال تمويل مشاريع الاعمال المسرحية من قبل مؤسسات التمويل المختلفة حيث تصر الفرقة على ان الدعم الحقيقي يأتي من الجمهور.

حاليا تقوم الفرقة بلقاءات تدريبية لبلورة عمل مسرحي كما وتقوم ايضا بدراسة مجموعة من المسرحيات الى ان يتم الاتفاق على اختيار الانسب للعمل القادم .

وجدير بالذكر ان الفرقة ضمت اليها حديثا وجها عمل في السابق مع بلالين وبلا-لين هو مايكل مسيس.

بقي ان نذكر ان في مسيرة صندوق العجب المسرحية لم يتبقى من المؤسسين الدؤوبين الا عادل ترتير الذي ضم في جعبته اعمالا كثيرة تستعرضها في رحلته المسرحية والتي بدأها في اواخر عام ١٩٧١ مع فرقة بلالين وشارك في جميع اعمالها:

١) مسرحية قطعة حياة عام ١٩٨٢.
٢) مسرحية العتمة عام ١٩٧٢.
٣) ثوب الامبراطور عام ١٩٧٣.
٤) نشرة احوال الجو عام ١٩٧٣.
٥) الكنز عام ١٩٧٣.
٦) شجرة الجوز ويونس الاعرج عام ١٩٧٣.
٧) تع تاخرفك يا صاحبي عام ١٩٧٤.
٨) عنتورة ولطوف عام ١٩٧٥.

Digitized by Birzeit University Library

قصـــة

الورم

محمد ايوب

اعينها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمـــــه ورم "المتنبي"

توفي ابي قهرا ، بعد ان اجبر ان يتخلى عن زوجته - التي هي امي - لرجل مفتر. وكنت لا ازال طفلا حين حدث هذا ، ولكني لا زلت اذكره وكأنه حدث الان ، فذاكرة الطفل اقوى من الحاسوب.

جلس يعقوب فوق كرسي من الخشب المتين .. فتل شاربيه وتجشأ بغظاظة .. نفخ الهواء من منخريه ، وقد اخذ به الغضب كل مأخذ.. صاح بامي:

- اسمعي يا ولية .. ابنك لازم يفهم ان الكلمة كلمتي في هذا البيت .

انكمشت امي حتى صارت في ربع ثيابها.. نظرت الي نظرة عتاب ولم تنبس ببنت شفة.

نفخ يعقوب شدقيه ونظر الى عضلاته بخيلاء وهب واقفا .. مشى بضع خطوات.. ثم توقف فجأة ليقول:

- انت يا ولد .. انا ابقيتك هنا حتى لا يقول الناس انني انسان غليظ الطبع قاس.

ثم استطرد قائلا :

لكن وجودك هنا لا يعطيك اي حق.. استطيع ان اقذف بك الى الشارع لتلحق باخوتك.. استطيع ان امسحك من الوجود..

انت فاهم؟

ثم تجشأ وفتل شاربيه كأنما ليؤكد كلامه.

انسابت ابتسامة صغيرة فوق شفتي .. فقد داهمتني تلك الصورة التي طالما حملتها في مخيلتي ليعقوب.. صورة قدم ضخمة داخل حذاء ضيق يسبب لها ورما يزيد ضخامتها غير الطبيعية.

لاحظ يعقوب انسياب الابتسامة فاشتعل غضبا وارغى وازبد .. التفت الى امي صائحا:

- شايفة المحروس تبعك..انه يسخر مني.. انا الذي ابقيته حتى لا يقال انني قاس.. ولكن لا بأس.. ها قد بدأ يكبر.. ولا بد له ان يبحث عن مكان اخر.

اندفعت امي نحوي. احتضنتني بعنف . تشبثت بي . صفعها. بصق في وجهها . اصابني رذاذ البصاق.. مسحته بطرف كمي. شعرت بقرف شديد.. فانا اعتقد - ومنذ استولى يعقوب على امي - ان يعقوب كله دنس يجب ان نتطهر منه.. ولكن كيف؟

انكمشت امي ، ولم تجرؤ على مسح البصاق الذي غطى وجهها ، فاخذت امسح ذلك الدنس المدنس.

اندفع يعقوب نحوي كالثور الهائج.. اطلقتني امي.. اطلقت لي العنان.. قفزت بعيدا عنه .. امسك منفضة سجائر .. قذفني بها .. اصطدمت المنفضة بالحائط فحفرت فيه حفرة ،

Digitized by Birzeit University Library

وانكسرت.. اغتاظ .. امتاج اكثر.. جرى ورائي .. جريت امامه.. لا بد ان اثبت عكس قول المتنبي .. لا بد ان اثبت انه ورم لا شحم حقيقي فيه .. كرة منفوخة تقفز في الهواء.. تصدر اصواتا.. ترتطم هنا وهناك ، فتخيف الطيور الفزعة اصلا ، لكن مسمارا بسيطا يمكن ان يثقبها ، دنس.. يخرج الهواء بصوت مسموع لينكشف الورم على حقيقته .. ورما لا اكثر.

اخذ يعقوب يجري ويلهث .. يبصق ويشتم .. يسب ويلعن . يقذفني بكل ما تصل اليه يده من ادوات البيت التي اخذت تصطدم بالجدران بصوت مسموع ، فينكسر منها ما ينكسر ، وينجو من الكسر ما ينجو.. وهو يجري وانا اجري امامه ، وامي تبدو مشدوهة .. عيون زائغة ، وفم مفتوح ، ووجه اكتسى بصفرة الموت.. صاحت:

- كفى .. كفى .. انه ولدي

هدر يعقوب : يا خائنة .. يا خائنة .. ولدا
وانا .. لماذا لم تنجبي لي اي ولد.

وقذفها بشيء كان في يده فاخطأها .. واندفع خلفي ثورا هائجا يلاحق لونا احمر.. اندفع داخل المطبخ .. امسك سكينا بيده.. جرى خلفي.. قصرت المسافة بيننا.. كاد يمسكني .. امسكت بـ امي.. التفت نحوها.. رفع يده بالسكين ليطعنها .. عدت اليه.. امسكت بعقبيه بكل قوتي .. جذبته فانكفأ على وجهه.. انغرزت السكين في جوفه.. دنس.. اندفع هواء الكرة دما احمر ، وتمتم يا خائنة ، وهتفت امي : انه ولدي...

واكتشفت فجأة ان يعقوب انما جاء من العقب.

١٩٨٧/١٢/٦

Digitized by Birzeit University Library

شعر:

الشهيد

ربحي عبد القادر ابراهيم

الرصاصة تخترق القلب والقلب يخترق حواجز التفتيش ونظام منع التجول كي يعلق زهوره الحمراء على ابوبا المدينة التي ستدخل منها الاميرة .

صورة لشهيد من شهداء الانتفاضة يغني كلماته الاخيرة بعدما اخترقت رصاصة قلبه الكبير .

حملت هلالي بلادي
حملت صليبي بلادي
تجولت بين الشوارع والارض حولي جراح
وحاولت ان اتذكر بيت الاميرة
ففتشت عنها بكل زقاق وحي وجرحي مباح
وعشت حياتي مع الاغنية
فشلت بعمري وفزت بموتي ولكن..
بموتي سأهتك عرض الرصاص
واجعل اغنيتي نجمة في بلادي
واجعل منها
شموسا وفجرا وعشقا
وراحة طفل ستخفي نزيف فؤادي
لماذا اذن انت تبكي؟
وكل دموعك فوق الشفاه مكسرة يا رفيقي
وعيناك تطلب مني قصيدة شعر
وجسمي على الارض ملقى جريحا
ودمع بعينيك يبكي ذبيحا
لماذا الدموع؟؟
ودمعي انا لا يجف.. رفيقي
وحبي هزيعي الاخير
لماذا الدموع؟؟

انا عاشق يستحيل ارتوائي
ولي قصة في بلادي
ولي دمعة في فؤادي
وخصلة شعر طويلة
وهذي اغاني الرحيل
وترنيم موتي الجميل
وهذي زهور الحديقة
وموتي - لارض وثيقة
فلا تبك يا صاحب لو بكى المستحيل
انا عاشق
انا عاشق قلتها في تحدي
بكل اللغات
ولا اذكر اني بكيت
على الشرفات
ولا اذكر اني فشلت
ولا اذكر اني رأيت
ولكني رأيت بلادي
على الكلمات
على الدمعات
رأيت بلادي جميلة
رأيت بلادي ضفيرة شعر طويلة

Digitized by Birzeit University Library

تحاول جذبي
فيخضر من شفتي الربيع
وتبقى الدموع
وتبقى الجروح
ويبقى الصقيع
وابقى انا كي اغني لجرحي وابكي
فجرحي قديم
بصدري قديم
ولكن جرحي برغم القيود
يحطم كل السدود
ويأتي اليك يغني اغاني الحصاد
ويأتي يريد جميع الاغاني
يريد الشموس
يريد اغاني الطيور
الم تلمح العشق فوق العيون؟؟
وخلف دموعي عيون
وخلف عيوني ختام
اتلمحها يا رفيقي
هناك امام البنات
بحشد كبير امام البنات
تغني وتحمل شمسا
بالوانها الاربعة
وخلف ختام جميع البنات
كورد على الشرفات
اتلمحها قادمة؟
بشعر كليل الجزيرة
وفي يدها شمس عشق اثيرة
اتلمحها يا رفيقي؟؟
هي الان تمد خطاها الصغيرة
على وجنتيها دموع
كدمع لطفل رضيع
هي الان خائفة
فمم تخاف الاميرة؟
عيون الجميع عليها
ايادي الجميع تشير اليها
اتلمحها يا رفيقي؟؟

اتلمح شعر ختام الطويل؟
اتلمح خصر ختام النحيل؟
فماذاتقول ختام لو اني رحلت؟
وماذا تقول لو اني فشلت؟
وكيف ستحيا وحيدة؟
وهل ستكون سعيدة؟
ومن كان فينا الشهيد
انا ام ختام الشهيدة؟
فبلغ قصيدي اليها
وبلغ قصيدي لكل حبيب
وهذا قصيدي الاخير
وهذي دموعي الاخيرة
وداعا رفيقي فقد حان موتي
وجاء الرحيل بحكم القدر
فبلغ سلامي لكل حبيب
وبلغ سلامي لذكرى المطر
جنون القوافي ودمع العيون
تناجي بصدق معاني السحر
تقول بلادي يأتي شهيد
فضع فوق رأسى رداء القمر
فلم يبق في الروح طعم الحياة
ولا من عيوني يغني المطر
فقد كنت حيا اريد الحياة
واحلم بالشمس قبل القمر
سأكتب بالدمع احل قصيد
ولكن وقتي يريد السفر
ولم يبق مني سوى ذكريات
وذكراي كالعطر بين البشر
فقل للصحاب بأني رحلت
كأني سؤال كأني خبر!!
ولا بد ان نلتقي من جديد
كذا قال ربي لاهل البشر
انا راحل عنك يا صاحبي
واغنيتي فوق دفء الوتر
فدع فوق قبري رسالة حب
وباقة ورد وصوت المطر

Digitized by Birzeit University Library

ولا تدعي اننا قد خلقنا
لكي يترك الليل فينا خبر
ومهما تطول ليالي الدموع
ستأتي الطيور ويأتي الثمر
بدمعي وصوتي وجرحي الحنون

كتبت قصيدي كتبت القمر
وقلت سأرحل.. ولكن شهيد
وجرحي ينادي دمي يا عمر
فدعني وبالجرح لون الحياة
وما اروع الموت تحت المطر

Digitized by Birzeit University Library

مختارات من الشعر المعاصر في الاورغواي

ترجمة د.محمد عبد الله الجعيدي

(كلية الاداب - جامعة مدريد)

شاهـدت

- ثيري مائية *

شرطة وجنود
بشاحنات وشاحنات
عل صهوات الخيول
او مشاة عل الاقدام
معا ومسلحون.
ارى محياك المضطرب يا مدينتي الغالية
والرعب في أنحاء كثيرة
نبتة شرهة تتسلق البيوت
تصعد الجدران
تلتهم وتنمو
ان ايقظوك في الفراش
وبريق السكين امام ناظريك:
بماذا ستشعر؟
هل ستغطي عينيك بيديك؟
هل ستستطيع الثبات والمقاومة؟
استعد
فاليوم العصيب آت

بالمنجل والقدوم

- خوان كنهة **

بمنجل ونصل وقدوم ما
برفش ومعول وعصا
او بمجرد ظفر وسن وهن
ان كان الاخرون برصاص وسكين
يكفي ان نتكاتف بأكثر الصور بساطة
من كل قلب تشع هالة صافية
منا جميعا انقياء تأتي الهدية،
النعمة كالخاتم كاملة
فلنجعل من أنفسنا جميعا بشرا
ونتكاتف لأول مرة
جميعا دون ان تلين لنا قناة
كنس الارض وجرفها واجب علينا
واجب علينا قلبها
واخراج باطنها المثمر

---

* ولد ثيرسي مائية في الاورغواي سنة ١٩٣٢ ، من اعماله : "الريشات" ، "الزمن" ، "الجسر" ، "حضوري يومي".

** ولد خوان كنهة في فلوريد (الاورغواي) سنة ١٩١٠ ، من اعماله : "العصفورة الاتي من الليل" ١٩٢٩ ، "من اغاني انسانية" ١٩٤٨ ، "الحلم وعودة الفلاح" ١٩٥١ .

Digitized by Birzeit University Library

اصداء ثقافية

العراق:

"القناة الاولى"

جديد جبرا ابراهيم جبرا

انهى الكاتب الفلسطيني جبرا ابراهيم جبرا والذي يقطن في بغداد اعداد ذكرياته بعنوان "القناة الاولى" ويتحدث جبرا في ذكرياته حول طفولته في القدس القديمة ابان الانتداب البريطاني ، حيث عاشت عائلته في بيت ذو باحة داخلية تتوسطها قناة مياه جوفية عذبة . وتشكل هذه القناة محور ذكريات جبرا ابراهيم جبرا.

ويعتبر الكاتب "القناة الاولى" الجزء الاول من ذكرياته والتي تنتهي عند العام ١٩٤٨، عندما اضطر الكاتب الى مغادرة بلاده.

ويقول الكاتب انه في الجزء الثاني سوف يتحدث حول شبابه في المهجر ، في الاردن وسوريا ، وكذلك حياته الجامعية في جامعة اكسفورد ومعيشته الحالية في بغداد.

المغرب:

كتاب جديد عن

غسان كنفاني

اصدرت دار نشر "دار الرشاد الحديثة" المجموعة النقدية للناقد احمد بيري بعنوان "مع غسان كنفاني".

ويتحدث الكاتب حول حياة واعمال الروائي والمناضل الفلسطيني غسان كنفاني ، بشقيها الاعمال القصصية والمقالات الادبية النقدية.

ترجمة جديدة ل

"الف ليلة وليلة"

ذكرت صحيفة ١٤ اكتوبر ان الكاتب المغربي رينيه خافام قد انهى ترجمته الجديدة ل "الف ليلة وليلة" باللغة الفرنسية ، تلك الترجمة التي استغرقت كما يقول الكاتب نفسه ٤٠ عاما.

الكويت:

صدر في الكويت الجزء الثاني من كتاب الكاتبة ليلى محمد صالح بعنوان "الادب النسوي في شبه الجزيرة العربية وبلدان الخليج".

ومن الجدير بالذكر ان الجزء الاول خصص للحديث حول الادب النسوي في العربية السعودية ، البحرين ، الامارات العربية ، بينما يتحدث الجزء الثاني حول الحركة الادبية النسائية في اليمن وسلطنة عمان.

روايات تولستوي للاطفال

مضى قرابة عامان على صدور مجلة الاطفال الكويتية "العربي الصغير" ومع حداثة هذه المجلة ، الا انها استطاعت ان تحظى بتأييد وسعة انتشار بين الاطفال والشباب في الكويت ومختلف الدول العربية . وتقوم المجلة ، وباسلوب علمي مشوق ، وادبي سهل باطلاع القارىء الصغير على المستجدات العلمية الحديثة ، وعلى روائع الادب العالمي .

ومؤخرا باشرت المجلة باطلاع وتعريف القاريء العربي الصغير على بعض الروائع الادبية لتولستوي وكذلك التعريف بحياته .

Digitized by Birzeit University Library

الى الكتاب

- تفتح "الكاتب" صفحاتها للدراسات والابحاث والاراء والاعمال الادبية التي من شأنها ان تسهم في بلورة ثقافة وطنية فلسطينية ، او تنبع من حس بها.
- يجب ان تتبع الدراسات المرسلة الى "الكاتب" الطريقة العلمية من حيث الدقة وذكر اسماء الاعلام كاملة لدى ورودها للمرة الاول وذكر المراجع عند اعتمادها.
- في حال ارسال مادة طويلة يمكن نشرها في اكثر من عدد او الاقتصار على اجزاء منها.
- معلومات موجزة عن نفسه على ان تتضمن الاسم الكامل ، المهنة ، والعنوان ، والهاتف ان وجد.
- يتم اعلام الكاتب قرار النشر او عدمه خلال ٤ اشهر من وصول مادته المرسلة ، علما بان ما يرد للمجلة لا يعاد سواء نشر او لم ينشر.
- المادة المرسلة الى "الكاتب" تكون خاصة بها وحدها.
- درجو ان تكون الكتابة بخط واضح او مطبوع على الالة الكاتبة ، وعلى وجه واحد من الورقة ، مع ترك مسافة معقولة بين الاسطر.
- تعنون المراسلات باسم رئيس التحرير الى : مجلة الكاتب / ص.ب(٢٠٤٨٩) - القدس.

الى دور النشر

- تدعو "الكاتب" دور النشر والمؤلفين الى ارسال الكتب الجديدة او عناوين هذه الكتب لكي تختار المجلة منها ما تود مراجعته على صفحاتها.

• قسيمة اشتراك •

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر **مجلة الكاتب** .

قيمة اشتراك واحد لمدة ..... على ان ترسل الى العنوان التالي:

الاسم Name _____

العنوان Adress _____

المدينة City _____

البلد Country _____

قيمة الاشتراك

	سنة الشهر	سنة	سنتين
للافراد	١٥ دولار	٢٥ دولار	٤٥ دولار
الاشتراك المحلي	٢٥ دولار	٤٠ دولار	٧٠ دولار
اوروبا	٣٠ دولار	٥٠ دولار	٩٠ دولار
بلدان اخرى			

للمؤسسات المحلية	٥٠ دولار
اوروبا	١٠٠ دولار
بلدان اخرى	١٥٠ دولار

الاشتراك السنوي

ترسل قسيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي:

AL - KATEB.P.O.BOX 20489 EAST JERUSALEM.VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

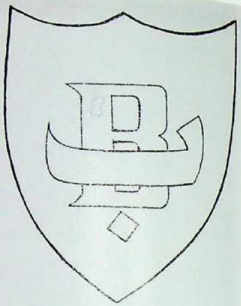

الأمان الكامل هو شعارنا

الوكالة العربية للتأمين
سعيد برانسي وإخوانه

القدس - ٢٠ شارع صلاح الدين - هاتف رقم : ٠٢/٢٨٥١٤١
ص.ب: ١٩٥٥٠ - القدس ٩١١٩٤
الناصرة - مركز البشارة التجاري - قرب العين - هاتف ٠٦٥ - ٥١٣٧٦/٧

Digitized by Birzeit University Library

● معتقل فلسطيني في أحد شوارع غزة يوم ١٩٨٨/٤/١٦ ●

(صورة من «رص.ف»)

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS
97

Digitized by Birzeit University Library